ترجمات | قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية | 03 مايو 2016

مقدّمة «معجم الرموز»

Dictionnaire des symboles



جون شوفالييه & ألان قيربرانت
ترجمة: فيصل سعد

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

ترجمة مقدّمة «معجم الرموز»[1]

Dictionnaire des symboles

(الأساطير، الأحلام، الأعراف، الإيماءات، الأشكال، الصور، الألوان، الأعداد)

(باريس 1990)

تأليف: **جون شوفالييه & ألان قيربرانت**

ترجمة: **فيصل سعد**

---

[1] نشرت هذه المادة في مجلة "ألباب"، العدد 6، صيف 2015، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

للرموز اليوم مكانة جديدة، إذ لم تعد **المُخَيَّلَةُ** محتقرة بوصفها «**مجنونة البيت**». فقد رُدَّ إليها الاعتبار أختًا توأمًا للعقل باعتبارها ملهمة لاكتشافات ولتطوّرات. وتعزى هذه المكانة في قدر كبير منها إلى استباقات الخيال التي يؤكّدها العلم يومًا فيومًا، وإلى الآثار الناجمة عن هيمنة الصورة في الوقت الراهن، تلك التي يسعى علماء الاجتماع إلى معادلتها بالتأويلات الحديثة للأساطير القديمة، وبنشأة أساطير جديدة، ثمّ بالكشوف الجليّة لعلم النفس التحليليّ. إنّ الرموز اليومَ في صلب اهتمامات الباحثين. وهي قلب هذه الحياة المتخيّلة. إنّها تكشف أسرار اللاوعي وتقود إلى محفّزات العمل الأكثر تخفّيًا، وتفتح العقل على المجهول واللانهائيّ.

ويستعمل كلّ منّا الرموز في كلامه وحركاته وأحلامه آناء الليل وأطراف النهار سواء وعى بها أو لم يع. فهي تعيّن ملامح الرغبات وتشجّع عليها، وتكيّف سلوكًا ما، وتصمّم النجاح أو الفشل. ويهمّ تكوّن الرموز وتنظيمها وتأويلها كثيرًا من الاختصاصات شأن تاريخ الحضارات والأديان واللسانيّات والأنثربولوجيا الثقافيّة ونقد الفنّ وعلم النفس والطبّ. ويمكن أن نضيف إلى هذه القائمة دون غلقها مع ذلك تقنيّات البيع والدعاية والسياسة. وتضيء أعمال حديثة العهد، لا تني تتزايد بُنَى **المتخيّل** والوظيفة الرامزة **للمخيّلة**. ولا يمكننا اليوم إنكار حقائق شديدة الأثر في هذا المجال. وكلّ علوم الإنسان من قبيل الفنون، وكلّ التقنيّات الصادرة عنها تصادف رموزًا في طريقها. ويتعيّن أن تتضافر جهودها لحلّ الألغاز التي تضعها الرموز. وتتآزر هذه العلوم لتحريك الطاقة التي تحتفظ بها الرموز مكثّفة. فلا يكفي أن نقول: إنّنا نعيش في عالم من الرموز، بل إنّ عالمًا من الرموز يعيش فينا.

إنّ العبارة الرمزيّة تعبّر عن جهد الإنسان لحلّ لغز يتعلّق بمصير، والتحكّم فيه مصيرًا ينفلت منه عبر ظلمات الغياهب المحيطة به. وقد يكون هذا الكتاب بمثابة **خيط أريان** (Fil d'Ariane) الذي قد يهدي القارئ في خفايا المتاهة المظلمة. ويمكنه كذلك أن يحثّه على التفكير والحلم بالرموز مثلما كان «**غاستون باشلار**» (Gaston Bachelard) يدعوه إلى الحلم بالأحلام، وإلى أن يكتشف في هذه الكوكبة المُتَخيَّلَةَ الرغبة والخشية والطموح التي تهب حياته معناها الخفيّ.

1. لوحة توجيه لا مدوّنة تعريفات

لا يمكن لهذا المعجم ـ اعتبارًا حتّى لموضوعه ـ أن يكون مجمع تعريفات شأن المفردات والمصطلحات العاديّة لأنّ الرمز يفلت من كلّ تعريف. ومن طبيعته كسر الأطر القائمة وتجميع الأطراف في رؤية واحدة. ومثله في ذلك مثل السهم الذي يطير ولا يطير، ثابتا، شاردا، جليّا ودقيقا. وستكون الألفاظ ضروريّة للإيحاء بمعنى رمز أو بمعانيه. لكن لنتذكّر دائمًا أنّ هذه الألفاظ غير قادرة على التعبير في الرمز عن قيمته كلّها. فلا يُعامِلَنَّ القارئ إذًا صِيَغَنَا الموجَزَةَ كما لو كانت أوعية تنطوي في حدودها الضيّقة على كلّ أبعاد الرمز. فهذا الرمز يستسلم ويهرب. بقدر ما يتوضّح يتخفّى حسب عبارة «**جورج غيرفيتش** (Georges Gurvitch) القائل: «الرموز تُسفِرُ في تَحَجُّبِها وتتحَجَّبُ في سفورها». وفي المنزل الشهير لألغاز **بومبايّي** (Pompéï) والذي غمره رماد البركان (**فايزيف** Vésuve) طيلة قرون يتناول رسم بنفسجيّ رائع بخلفيّة حمراء كَشفَ الأسرار في حفل دينيّ تعميديّ: فقد رُسِمَت الرموزُ بدقّة، وصُمِّمت الحركاتُ الطقسيّة، وانحَسَرَ الحجاب، لكن يبقى اللغز كاملاً ومثقَلاً بالالتباسات لمن لم يقع تعميده.

يسعى هذا المعجم فقط إلى وصف علاقات صور وأفكار وعقائد ومشاعر يتناولها أكثر من 1200 لفظ قابل لتأويلات رمزيّة. ومن أجل فحص أكثر ملاءمةً ركّزنا أحيانًا على المرموز إليه (نفس، سماء وغيرهما...)، وأحيانًا أخرى على الرامز (ظبية، زنبقة ماء وهلمّ جرّا...). ووردت التأويلات دون نظام متصورّ سلفًا. وجُمِّعت أحيانًا حسب نظام جدليّ ليست جدواه غير جدوى تعليميّة أو جماليّة. وقلّما تُنتَقَدُ هذه التأويلات إلاّ عندما تبتعد عن منطق ما للرموز سنَعرضُ له في الجزء السادس من هذه المقدّمة. لكن تصحب هذه الانتقاداتِ نفسَها تحفّظاتٌ، لأنّه يمكن بخصوص حقيقة الرمز أن نستعيد عنوان القطعة المشهورة لـ»**بيرندلّو**» (Pirandello) «هكذا يكون إن شئت». ويحدث أن نقَدّمَ تأويلات شخصيّة، لكن تبقى كلّ فقرة مفتوحة على مصراعيها.

وعلى الرغم من الإغناء الذي طال عديد الإحالات فلا واحدة منها تزعُم أنّها شاملة. وقد دوّنت في كلّ رمز من الرموز الكبرى كتب بأكملها تنوء عن الواحد منها العديد من رفوف المكتبات. وقد اقتصر اختيارنا على ما كان من التأويلات أكثرها ضمانًا وعمقًا وإيحاءً، أي على تلك التي ربّما تمكّن القارئ من العثور بنفسه على معان جديدة أو من استشرافها. ومن جهة أخرى سَييسّر عمل الابتكار الشخصيّ وإمكان الإدراكات الطريفة اعتماد توافقات عديدة بين الإحالات التي تشير إليها علامة (*)، وإحالات على الكتب المصادر التي يُشار إليها بالحرف الأوّل من الكلمة في متن الكتاب، ويحال عليها في الببليوغرافيا. ومن ثمّ لا شيء أيسر ـ لمن يرغب في ذلك ـ من تعميق فهم رمز من الرموز والإفاضة فيه.



وسيجد القارئ المُخَيِّل في هذه الصفحات – حقيقة – من الحوافز أكثر ممّا يجد من المعارف. وسيتّبع- حسب ذوقه أو ميوله - أيّ مسار للتأويل، أو سيتخيّل مسارًا آخر. ذلك أنّ إدراك الرمز شخصيّ بحت، لا بمعنى أنّ هذا يتغيّر مع كلّ ذات فحسب، وإنّما بمعنى أنّه يتوسّل بالشخص في كلّيّته. ولكنّ الشخص هو في الآن نفسه قِنْيَةٌ وتَقَبُّلٌ. إنّه ينتمي إلى الإرث البيولوجيّ والفيزيولوجيّ والنفسيّ لإنسانيّة ضاربة في القدم، ويتأثّر بمتغايرات ثقافيّة واجتماعيّة خاصّة بالوسط المباشر لتطوّره. ويضيف إليها هو ثمار تجربة فريدة وتوتّرات وضعه الحالي. وللرمز تحديدًا هذه الأولويّة الاستثنائيّة لصياغة كلّ مؤثّرات اللاوعي والوعي في عبارة حسّيّة، وكذلك القوى الغريزيّة والروحيّة المتصارعة أو التي هي في طريقها إلى الانسجام في دخيلة كلّ إنسان.

لم نكن نريد عرض المعلومات المجتمعة حول كلّ كلمة حسب نظام ليس له من العلم إلاّ المظهر. وليست الدراسة العامّة للرموز متطوّرة بما يكفي على الرغم من الأعمال المتميّزة التي تضاعفت في السنوات الأخيرة لتسمح بوجود نظريّة تعرض كلّ الوقائع المتراكمة. ومن المؤكّد أنّ عددًا من القوانين يظهر للعيان شأن قانون الاستقطاب الثنائيّ. إلاّ أنّ هذه القوانين لا تكفي لتكوين نظريّة شاملة. فأنْ نصنّف التأويلات حسب علاقتها بنواة مركَزيّةٍ هو أن نخاطر دومًا بتكلّف المعنى فيها أو بتضييقه أو بتقدير القيمة الأساسِيّة لرمزِها، وبتخصيص النصيب الأوفر للقرار الشخصيّ. لقد فضّلنا - في ما عدا بعض الاستثناءات- أن نترك للمعطيات الخام ثقلها الخاصّ أو تعدّد معانيها واضطرابها. وبات متعيّنًا أن نستبعد النظام السيميائيّ بواسطة تقريب الدلالات حتّى نفسح المجال لتأويلات أخرى ذاتيّة، ولاحترام التعدّد الموضوعيّ للوقائع. وقدّرنا أنّه من الأجدى أن نتجنّب التقريبات النسقيّة توقّيًا من التناقضات والمشكلات.

ولم نقدر كذلك على أخذ قرار في اتباع ترتيب تاريخيّ داخل الإحالات. أمّا مشكل التواريخ فقد توصّلنا فيه إلى ما يكفي من الحلول لعدد من الوقائع ذات المنزع الثقافيّ، في حين بقي المشكل مع وقائع أخرى قائمًا كما هو. فما هو مثلاً أصل أسطورة «زويس (Zeus)»؟ وحتّى عندما تكون أسبقيّة قائمة بشكل تامّ كأسبقيّة مملكة الفراعنة على جمهوريّة روما وعلى إمبراطوريّة «**الإنكا** (Incas)»، فلربّما يتعيّن أن نحترس من أن يكون القصد أنّ تأويل الرموز مرتبط بتلك الأسبقيّة، وأنّه يوجد رابط أصليّ بين مختلف المعاني: أفلا ينبغي على الأقلّ ألاّ نحكم مسبقًا بأنّ القرابة بين الدلالات المتماثلة تقع في مستوى العلاقات التاريخيّة. فهل يكون من الإنصاف أن نضع إفريقيا السوداء في أسفل الترتيب بسبب كون الوثائق - عدا الرسوم الجداريّة للهوغّار (Hoggar) مثلاً- لا يمكن أن تسمح لنا بالعودة إلى أكثر من أربعة قرون أو خمسة. وتضيع التقاليد العربيّة في عصور التاريخ السحيقة، ولربّما القريبة أو البعيدة، لكنّنا غير قادرين دومًا على تحديدها. ومن ثمّ، قد لا يكون الركون إلى نظام يعتمد التسلسل التاريخيّ للثقافات هشًّا وغير يقينيّ فقط، وإنّما غير ملائم لطبيعة الرموز في حدّ ذاتها. ومردّ ذلك إلى أنّه لا يمكننا إقامة علاقات تاريخيّة بين الرموز ومثل هذه التأويلات.



لكن لأنّ علينا أن ندوّن تاريخ التأويلات الرمزيّة، ولم تتوفّربعدُ معطياته اليقينيّة بما يكفي عدا ما يوجد، مثلاً، في الرمزيّة المسيحيّة وفي تبعيّتها الجزئيّة للعصور القديمة الإغريقيّة الرومانيّة في الشرقيْن الأدنى والأوسط القديميْن.

ولم يكن ترتيب المعلومات تحت كلّ كلمةٍ مفتاح ليُختار وفق الترتيب النسقيّ أو التاريخيّ، وإنّما كان اختياره حسب مبدإ قد يحفظ على الوجه الأفضل استقلال كلّ معلومة بذاتها ومجموع قيمها الافتراضيّة. ولكلّ قارئ ومتخصّص الحرّيّة في إدراك العلاقة الدلاليّة أو التاريخيّة بين معطيات من هذا القبيل. وسترتهن المعرفةُ العلميّةُ للرموز - إن وجدت- بالتطوّر العام للعلوم وخاصّة بمجموع العلوم الإنسانيّة. وفي انتظار تطوّر هذه العلوم (الإنسانيّة) سنتبنّى إذًا ترتيبًا عمليًا وتجريبيًا محضًا يقحم أقلّ ما يمكن من الأفكار المسبقة ويتغيّر مع كلّ رمز.

و من المؤكّد أنّ التأويلات المختلفة التي لاحظنا لعدد غير قليل من الرموز ليست من دون علاقة في ما بينها شأنها في ذلك شأن توافقيّات حول **الغالبة** (الدرجة الخامسة من السُلّم الموسيقي)، لكنّ المعنى الأساسيّ ليس هو نفسه مع كلّ فضاء ثقافيّ. لذلك اقتصرنا في الغالب على تنضيد عديد التأويلات دون أن نحاول اختصارها اختصارًا يوشك أن يكون اعتباطيًا. وسيعوّل القارئ على حدسه الذاتيّ.

ولا يتعلّق الأمر بالسقوط في مغالاة أخرى هي التفضيل الفوضويّ للانخرام على النظام. ذلك أنّ همّنا الأساسَ هو أن نحفظ كلّ ذاك الثراء مهما كان مشكليًا، متناقضًا وغائرًا في الرمز. ويبدو لنا التفكير الرمزيّ خلافًا للتفكير العلميّ غير قائم البتّة على اختزال المتعدّد في الواحد، وإنّما على تشظّي الواحد إلى المتعدّد حتّى نكون أفضل إدراكًا في مرحلة ثانية لوحدة ذلك المتعدّد. وما لم نعمّق ذلك قُدُمًا فإنّه يبدُو لنا من الضروريّ أن نلحّ على هذا الافتراض المتفجّر، وأن نحافظ عليه قبل كلّ شيء.

ويمكن للموضوعات المُتَخَيَّلة التي قد أسمّيها رسم الرمز أو صورته (كالأسد والثور والقمر والطبل وأضرابها...) أن تكون كليّة غير محدّدة بزمن ومنغرسة في بنى **المخيّلة** البشريّة، لكنّ معناها يمكن أن يكون مختلفًا شديد الاختلاف بحسب الناس والمجتمعات وبحسب وضعهم في زمن محدّد. لذلك ينبغي أن يُستَوحى تأويل الرمز - مثلما تحدّثنا عنه في هذا الكتاب بخصوص الحلم- لا فقط من الصورة، وإنّما من حركتها ومن محيطها الثقافيّ ومن دورها الخاصّ الآن وهنا. فليس للأسد الذي يترصّده رامي السهام في مشهد صيد بابليّ المعنى نفسه الذي للأسد في «**رؤى حزقيال**Ezéchiel ». وسنجتهد في البحث عن الفارق والاصطلاح الخاصّ بالرمز توازيًا مع البحث عن القاسم المشترك. لكن علينا أن نحترس من المبالغة في التخصيص بالقدر الذي علينا أن نحترس فيه من الإسراع إلى التعميم: إنّهما عيبان في عقلنة قد تكون قاتلة للرمز.

مقاربة مصطلحيّة

يكشف استعمال لفظ الرمز عن متغيّرات في المعنى ذات شأن. ومن المهمّ- لتحديد هذه المصطلحيّة- أن نَميزَ جيّدًا الصورة الرمزيّة من كلّ الصور التي تلتبس بها التباسًا في غالب الأحيان. وينتج عن هذه الالتباسات مسخ للرمز ينحدر به إلى الخطابة أو إلى الاتباعيّة أو الإسفاف. وإذا لم تكن الحدود بديهيّة دائمًا بين قِيَمِ هذه الصور في مستوى التطبيق فذلك سبب زائد للتشديد عليها بقوّة.

الشعار

هو صورة مرئيّة نتبنّاها اصطلاحيًا لتمثيل فكرة، أو كائن ماديّ أو معنويّ. فالراية شعار الوطن، والإكليل شعار النصر.

الصفة

هي حقيقة أو صورة تصلح أن تكون علامة مميّزة لشخصيّة ولمجموعة ولكائن معنويّ: فالأجنحة صفة لشركة طيران، والعجلة صفة شركة السكك الحديديّة، والهراوة صفة الجبّار، والميزان صفة العدل. وعلى هذا النحو تمّ اختيار ملحق خاصّ للتعبير عن الكلّ.

المجاز الصوريّ

هو تصوير في شكل بشريّ في الغالب، لكنّه أحيانًا حيوانيّ أو نباتيّ لإنجاز ما، لوضعيّة ولميزة، أو لكائن مجرّد، مثلما أنّ امرأة ذات أجنحة هي المجاز الصوريّ للنصر، وأنّ قرن الخصب هو مجاز صوريّ للازدهار. ويدقّق «**هنري كوربان**» (Henry Corbin) هذا الاختلاف الأساس بالقول: «المجاز الصوريّ عمليّة عقليّة لا تستدعي عبورًا لا إلى مستوى جديد للكينونة، ولا إلى عمق جديد للوعي، بل هو التصوير في المستوى ذاته من الوعي لما يمكن أن يكون بطريقة أخرى قد عُرف معرفة جيّدة. ويعلن الرمز عن مستوى آخر للوعي غير البداهة العقليّة. إنّه مفتاح لغز، وهو الطريقة الوحيدة لقول ما لا يمكن أن يدرك بشكل آخر، إنّه لم يفسّر بصفة نهائيّة البتّة، بل يتعيّن دومًا تفكيكه من جديد شأنه شأن تَأْلِفَةٍ موسيقيّة لا تُفَكُّ رموزُها نهائيًا ولكنّها تستدعي دائمًا جديدًا».

الاستعارة

تعقِدُ مقارنة بين كائنين أو وضعين من قبيل أنّ خطابة متكلّم هي إسهاب لفظيّ.



المقايسة

هي علاقة بين كائنات أو مضامين مختلفة أساسًا، لكنّها متشابهة في ميسم ما. فليس لغضب الله مثلاً سوى علاقة مقايسة مع غضب الإنسان. إنّ الاستدلال بالمقايسة هو مصدر عديد الغلطات.

الأمارة

هي تغيير في المظاهر أو في مجرى الكلام الاعتياديّ يمكن أن يوحي ببعض الاضطراب والخلاف، بينما تزامن الأعراض هو مجموع الأمارات التي تميّز وضعًا تطوّريًا، وتنبئ بمستقبل على قدر من التعيّن.

المثل

هو حكاية ذات معنى في حدّ ذاتها لكنّها جُعلت لتوحي في ما وراء هذا المعنى المباشر بعبرة أخلاقيّة كمثل الحبّة الجيّدة المزروعة في تربات مختلفة.

الخرافة الحكميّة

هو حكاية مَثَلِيَّةٌ تعليميّة وخيال أخلاقيّ، تُضربُ من خلال وضعيّة **متخيَّلَةٍ** لتمرير درس ما.

إنّ ما يجمع كلّ هذه الأشكال المصوّرة من التعبير هو كونها علامات، وكونها لا تتجاوز مستوى الدلالة. إنّها وسائل تواصل في مستوى المعرفة المُخَيِّلة أو الذهنيّة التي لها دور المرآة، لكنّها لا تخرج عن إطار التمثيل. إنّها في ما يقول «**هيجل**» (Hegel)عن المجاز الصوريّ: «هو رمز مُبَرَّدٌ». ويدقّقه «**جيلبار ديران**» (Gilbert Durand) بالقول: «هو علم دلالة مُيَبَّسٌ في علم العلامات» (15DURS).

ويتمايز الرمز جوهريًا من العلامة بما هي اصطلاح اعتباطيّ يترك الدالّ والمدلول غريبين أحدهما عن الآخر (ذاتًا أو موضوعًا)، بينما يفترض الرمز تجانسهما في معنى حركيّة منظِّمة (20DURS). ويؤسّس «**جيلبار ديران**» اعتمادًا على أعمال «**يونغ**» (Jung) و«**بياجاي**» (Piaget) و«**باشلار**» على بنية **المخيّلة** نفسها هذه الحركيّة المنظّمة بما هي عامل انسجام في التمثيل. ذلك أنّ **المخيّلة** «أبعد من أن تكون ملكة لتشكيل الصور، إنّما هي قوّة حيّة تحرّف النسخ الواقعيّة التي يوفّرها الإدراك. وتصبح هذه الحيويّة المعيِّنة للأحاسيس أساس الحياة النفسيّة كلّها. ويمكن أن نقول: إنّ للرمز أكثر من معنًى معطًى اصطناعيًا، ولكنّه يحتفظ بسلطة أساسيّة وعفويّة للصدى» (21-20DURS). ويدقّق «**باشلار**» في كتابه «**شعريّة المكان**»

هذه المسألة بالقول: «يدعونا **الصدى** إلى تعميق وجودنا، إذ هو تحويل للكينونة». إنّ الرمز مجدِّدٌ حقًّا، لا يكتفي بترجيع **الصدى**، وإنّما يدعونا إلى تحويل في العمق كما ستبيّنه الفقرة الرابعة من هذه المقدّمة.

نرى إذن أنّ الرموز الجبريّة والرياضيّة والعلميّة ليست هي أيضًا سوى علامات تعتني فيها معاهد توحيد المقاييس بالجدوى الاصطلاحيّة عناية فائقة. ولا وجود لعلم صحيح يعبّر عن ذاته بالرموز بالمعنى الدقيق للكلمة. وتنزع المعرفة الموضوعيّة التي يتحدّث عنها «**جاك مونو**» (Jacques Monod) إلى استبعاد ما بقي من **الرمزيّ** في اللغة حتّى لا يقع الاحتفاظ إلاّ بالعيار المضبوط. ومن باب الشطط في الكلام، الذي نتفهّمه على كلّ حال، أن نسمّي رموزًا هذه العلامات التي تستهدف الإشارة إلى أعداد **مُتَخَيَّلَةً** وكمّيّات سلبيّة واختلافات متناهية الصغر. لكن قد لا يكون من الصواب الاعتقاد في أنّ التجريد المتزايد للكلام العلميّ يفضي إلى الرمز. فالرمز مثقل بالحقائق العينيّة، بينما التجريد يُفرِغُ الرمز ويولّد العلامة، في حين أنّ الفنّ يفلت من العلامة ويغذّي الرمز.

وتسمّى عديد الصيغ العقديّة أيضًا رموزًا للإيمان. فهي تصريحات رسميّة وطقسيّة بفضلها يتعرّف المنتمون إلى عقيدة أو إلى أحد الطقوس أو إلى مجموعة دينيّة بعضهم إلى بعض. وقد كان لمُتعبّدي «**سيبال**» (Cybèle) و«**ميثرا**» (Mithra) في العصور القديمة رموزهم. وكذا الشأن مع المسيحيّين انطلاقًا من رمز الحَوَارِيّينَ ومختلف المجامع الإيمانيّة كمجمع **نيقيّة** (Nicée) و**خليدونية** (Chalcédoine) و**قسطنطينيّة** (Constantinople) المسمّاة رموزًا. وليس لها في الحقيقة تلك القيمة الخاصّة بالرمز إذا كانت فقط علامات للتعارف بين المؤمنين وتعبيرًا عن حقائق عقيدتهم. وهذه الحقائق من طبيعة علويّة بلا شكّ. وتُستعمل الألفاظ في الغالب في معنى تماثليّ. لكنّ إعلان العقيدة هذا ليس على وجه الرمز البتّة، إلاّ إذا أفرغت التعبيرات العقديّة من كلّ دلالة أو اختُزِلت في أساطير. لكن إذا كنّا نعتبر هذه العقيدة - إضافة إلى دلالتها الموضوعيّة - بمنزلة مراكز تحوّل ذاتيًّا الانتساب إلى عقيدة وتعلنها - فإنّها تصبح رموزًا لوحدة المؤمنين دالّة على وجهتهم الداخليّة.

فالرمز إذن يتجاوز كثيرًا مجرّد كونه علامة. ذلك أنّه يتخطّى الدلالة ويتعلّق بالتأويل الناشئ عن استعداد مسبق. إنّه مُحَمّلَ انفعالاتٍ وفاعليّةً. وهو لا يمثّل الأشياء تمثيلاً ما يعتمد التخفّي فحسب، وإنّما هو كذلك يحقّق الأشياء تحقيقًا يعتمد النقض. إنّه يتوسّل بالبنى الذهنيّة. ولهذا السبب يقَارَنُ **برَسِيمات** (Schèmes) عاطفيّة وظيفيّة محرِّكة حتّى نُظهر جيّدًا أنّه يحرّك بوجه ما الحياة النفسيّة كلّها. وحتّى نرسم طابعه المزدوج الممثِّلَ والناجع يمكن أن نطلق عليه - اعتباطًا- **محرّك الصور**. وتُسنِده عبارة «**صورة**»، من جهة صلته بالتمثّل، وفي مستوى الصورة و**المتخيّل** عوض أن تضعَه في المستوى الذهنيّ للفكرة (أيدوس). وليس معنى هذا أنّ الصورة الرمزيّة لا تثير أيّ نشاط ذهنيّ. على أنّها تبقى بمنزلة المحور الذي تدور حوله كلّ



الحياة النفسيّة بحيث تضعها في حيّز العمل. فعندما تدلّ عجلة مرسومة فوق قبّعة على وجود عامل بالسكك الحديديّة فهي ليست سوى علامة، بينما يختلف الأمر عندما تكون في صلة بالشمس وبالدورات الكونيّة وبتسلسل الأقدار وبمنازل فلك البروج وبأسطورة العود الأبديّ، إذ تأخذ العجلة قيمة الرمز. لكن بابتعادها عن الدلالة الاصطلاحيّة تفتح الصورة الرمزيّة المجال للتأويل الذاتيّ. ونبقى مع العلامة في طريق متواصل وآمن: ذلك أنّ الرمز يفترض قطيعة في المجال وتقطّعًا ومرورًا إلى نظام آخر. إنّه يندرج في نظام جديد ذي شُعَبٍ متعدّدة. وما زالت الرموز، وهي معقّدة وغير محدّدة لكنّها موجّهة وجهة ما، تسمّى **مناَسِقَ (Synthèmes)** أو صُوَرًا بديهيّة.

إنّ الأمثلة الأكثر حضورًا لهذه الرسيمات **المحرّكة للصور** هي تلك التي يسميّها **كارل غوستاف يونغ النماذج الأصليّة** (Archétypes). ويمكن أن نُذكّر هنا بتصوّر **سيغموند فرويد** (S. Freud)، هو بلا شك أكثر تقييدًا من تصوّر **يونغ** للاستيهامات الأصليّة التي قد تكون **بُنى استيهاميّة** أنموذجيّة (حياة داخل الرحم، مشهد أصليّ، خصاء وإغراء). وهو التصور الذي يجده علم النفس التحليليّ منظِّمًا للحياة الاستيهاميّة مهما كانت التجارب الشخصيّة للمرضى. وتفسّر كونيّة هذه الاستيهامات حسب **فرويد** بأنّها قد تمثّل إرثًا منقولاً عن طريق السلالة (LAPV 157).

وقد تكون النماذج الأصليّة عند **يونغ** بمنزلة **نماذج أصليّة** لمجموعات رمزيّة منغرسة بعمق في اللاوعي الذي قد تكوّنه بصفته بنية وانطباعات حسب عبارة هذا العالم النفسيّ الزوريخيّ. وتكون هذه النماذج في الروح البشريّة بمنزلة أنماط مُشَكّلة سلفًا ومُنَسّقَة (تصنيفيّة) ومنظّمة (قصديّة)، أي مجموعات ممثّلة وانفعاليّة **مُبَنْيَنة** ذات حركيّة مكوّنة. وتتجلّى **النماذج الأصليّة** في صورة بنى نفسيّة شبه كونيّة فطريّة أو موروثة، وفي ضرب من الوعي الجمعيّ. وتعبّر عن نفسها من خلال رموز خاصّة مشحونة بطاقة فائقة. وهي ذات دور محرّك وموحّد وذي أهمّيّة في تطوّر الشخصيّة.

ويعتبر **يونغ الأنموذج الأصليّ** «إمكانًا شكليًا لإعادة إنتاج أفكار متشابهة أو على الأقل متماثلة أو شرطًا بنيويًا ملازمًا للنفس التي لها هي الأخرى - بطريقة ما- جزء متّصل بالدماغ» (JUNH 196). لكن ما تشترك فيه الإنسانيّة هو تلك البُنى الثابتة وليس الصور الظاهرة التي يمكن أن تتغيّر حسب العصور والأعراق والأفراد. ويمكن لمجموعة واحدة من العلاقات أن تنكشف تحت تنوّع الصور والحكايات والإيماءات، كما يمكن لبنية واحدة أن تشتغل. لكن إذا كانت صورًا متعدّدةً قابلة لأن تُختزَلَ في **نماذج أصليّة** فينبغي مع ذلك ألاّ ننسى توضيبها الفرديّ، وألاّ نهمل الحقيقة المعقّدة لهذا الإنسان كما وُجِدَ قصد الوصول إلى الطراز المثاليّ. وينبغي أن يَصْحَبَ اختصارَ الصور الذي يصل إلى الأساسيّ عن طريق التحليل، والذي ينزع **منزعًا مُكونِنًا** إدماجٌ ذو طابع تأليفيّ وذو **نزعة مُفَردِنة**. ويعيد الرمز الأنموذجيّ الأصليّ ربط الكونيّ بالفرديّ.



وتُقدِّمُ الأساطير بصفتها نقلاً مسرحيًا لهذه **النماذج الأصليّة** والرَسِيمات والرموز، أوللتشكيلات العامّة والملاحم والروايات والتخلّقات و**النشْكَوْنيّاتٍ** (Cosmogonies) وأصول الآلهة وحروب العمالقة ضدّ الأرباب، والتي تكشف سلفًا سيرورة تعقّل. ويرى **مرسيا إلياد** (Mircea Eliade) في الأسطورة «ذاك الطرازَ الأعلى لكلّ عمليّات الخلق مهما كان المستوى الذي تجري فيه بيولوجيًا كان أو نفسيًا أو ذهنيًا».

إنّ وظيفة الأسطورة الرئيسة هي تثبيت الأنماط المثاليّة لكلّ الأفعال البشريّة الدالة (ELIT 345). وستتجلّى الأسطورة كما لو أنّها مسرح رمزيّ للنزاعات الداخليّة والخارجيّة التي يقوم بها الإنسان في مسار تطوّره بحثًا عن شخصيّته. وتُكثّف الأسطورة في حكاية واحدة عددًا وافرًا من الوضعيّات المماثلة، وتسمح فضلاً عن صُوَرِهَا المحرّكة والملوّنة – كأنّما هي فعلاً صور متحرّكة - باكتشاف أنماط ثابتة من العلاقات، أي بُنًى.

على أنّ هذه البنى التي تحرّكها الرموز لا تبقى ثابتة، إذ يمكن لحركيّتها أن تتجه وجهتيْن متقابلتيْن. وتؤدّي طريق التماهي مع الآلهة والأبطال المُتَخَيَّلين إلى ضرب من الاستلاب، ومن ثمّ تُوصف البنى بكونها **فصاميّة الأشكال** (ج. ديران) أو **مُغَايِرَة** (س.ليبسكو) (S. Lupasco). وبالفعل هي تسعى إلى جعل الشخص مشابهًا للآخر ولموضوع الصورة وإلى مماهاته بهذا العالم **المتخيّل** وعزله عن العالم الحقيقيّ. وعلى عكس ذلك يشجّع طريق إدماج القيم الرمزيّة التي تترجم عنها بنى **المتخيّل** على **التفريد** أو على النموّ المتناسق للشخص. وتُسمّى هذه البنى إذًا **متشاكلات** و**مُجانِسة** كأنّها تحثّ الفرد فيها على أن يصبح هو ذاتَه عوض أن يتحوّل بطلاً أسطوريًا.

وإذا تبصّرنا بالطابع التأليفيّ لهذا الإدماج الذي هو تمثّل داخل الذات للقيم عوض مماثلتها بقيم خارجيّة فسننعت هذه البنى بكونها موازنة أوبنى تقابل متوازن (DURS4). وسنعيّن تحت اسم **الرمزيّ** من ناحية مجموع العلاقات والتأويلات ذات العلاقة بالرمز، رمزيّة النار مثلاً، وسنعيّن من ناحية أخرى مجموع الرموز الخاصّة بتقليد ما شأن الرمزيّة القباليّة (Kabbale) أو المايا (Mayas) ورمزيّة الفن الرومانيّ إلخ، وأخيرًا فنّ تأويل الرموز باعتماد كلّ من التحليل النفسيّ وعلم السلالات المقارن وكلّ مسارات الفهم وتقنيّاته (انظر مادّة «**حُلْم**») التي تكوّن هرمينوطيقا حقيقيّة للرمز. ونسمّي أحيانًا بالرمزيّ علم الرموز أو نظريّتها مثلما أنّ الفيزياء هي علم الظواهر الطبيعيّة وأنّ المنطق هو علم العمليات العقليّة. وعلم الرموز هذا علم وضعيّ مؤسّس على وجود الرموز وعلى تاريخها وقوانينها الفعليّة، بينما الرمزيّة علم تأمّليّ مؤسّس على جوهر الرمز وعلى نتائجه المعياريّة.

إنّ **الرمزيّ** حسب **جاك لاكان** (J. Lacan) هو أحد ثلاثة سجلّات أساسيّة يميّزها في مجال علم النفس التحليليّ من **المتخيّل** والواقع: «ذلك أنّ الرمزيّ يشير إلى نظام الظواهر التي يهتمّ بها علم النفس التحليليّ



من حيث هي مبنيّة بوصفها لغة» (LAPV 474). أمّا **الرمزيّة** عند **سيغموند فرويد** فهي مجموع الرموز ذات الدلالة الثابتة والتي يُمكن أن تُوجد في مختلف إنتاجات اللاوعي (LAPV 475). ويلحّ **فرويد** إلحاحًا متزايدًا على العلاقة بين الرامز والمرموز إليه، في حين ينظر **جاك لاكان** في **بَنْيَنَة** الرمز وترتيبه، أي في وجود نظام رمزي **يُبَنْيِنُ** الواقع بين البشر. وكان **كلود ليفي ستروس** (C.Lévi-Strauss) قد استخرج مفهومًا مماثلاً في الدراسة الأنثروبولوجيّة للأفعال الثقافيّة، فكتب يقول: «يمكن اعتبار كلّ ثقافة بمنزلة مجموع أنظمة رمزيّة في المقام الأوّل منها اللغة وقواعد الحياة الزوجيّة والعلاقات الاقتصاديّة والفنّ والعلم والدين» (نفسه 475).

أخيرًا تُعَرَّفُ **النظريّة الرمزيّة** بكونها مدرسة ثيولوجيّة تفسيريّة فلسفيّة أو جماليّة لا يكون - حَسبها- للنصوص الدينيّة وللآثار الفنيّة دلالة حرفيّة أو موضوعيّة، ولن تكون سوى تعبيرات رمزيّة وذاتيّة للإحساس والتفكير. ويستعمل هذا المصطلح كذلك ليعني قدرة صورة أو واقع على أن يقوم مقام الرمز: فمثلاً تتميّز **النظريّة الرمزيّة** للقمر من **الرمزيّة** التي أشرنا إليها سلفًا في ما يتعلّق باحتوائها على مجموع العلاقات والتأويلات الرمزيّة التي يوحي بها القمر فعلاً بينما لا تستهدف **النظريّة الرمزيّة** إلا خاصّيّة عامة للقمر بصفته أساسًا ممكنًا للرموز. وعندما نتحدّث كذلك عن **النظريّة الرمزيّة** الهندوسيّة والمسيحيّة والإسلاميّة فإنّ الأمر أقلّ تعيينًا لمجموع الرموز المستوحاة من هذه الأديان منه إلى التصوّر العامّ الذي تكوّنه هذه الأديان عن الرمز وعن استعماله.

ومن الممكن أيضًا تنسيب هذه التدقيقات اللفظيّة. على أنّها تكفي لإشعارنا بطرافة الرمز وبثرائه النفسيّ الذي لا يقارن.

3. طبيعة الرمز الحيّة وغير القابلة للتعريف

رأينا كيف يتميَّز الرمز من مجرّد العلامة، وكيف يغذّي مكوّنات المتخيّل الكبرى والنماذج الأصليّة والأساطير والبُنَى. ولن نتوقّف أكثر عند هذه القضايا المصطلحيّة على أهميّتها. ويجدر بنا أن نتقصّى طبيعة الرمز ذاته.

إنّ الرمز في الأصل شيء قُسِمَ نصفيْن، قِطَعًا من الخزف أو الخشب أو المعدن. ويحتفظ شخصان كلّ منهما بجزء، ضيفيْن كانا أو دائنًا ومَدِينًا أو حاجَّيْن أو شخصيْن سيفترقان طويلاً. وعند التقريب بينهما سيقرّان لاحقًا طبيعة العلاقة التي كانت تربطهما سواء كانت علاقة ضيافة أو دَيْن أو صداقة. وكانت الرموز أيضًا عند قدماء اليونان علامات تعارف تسمح للأولياء بالتعرّف على أبنائهم المعروضين للبيع. ثمّ اتّسع المصطلح عن طريق القياس ليشمل الشارات التي تمكّن صاحبها من تسلّم الرواتب أو المنح أو المعاشات،



وكلّ علامة على الانتماء والتكهّن بالمصير والاتفاقات. إنّ الرمز يفرّق ويجمع، وهو ينطوي على معنيَيْ الفصل والوصل، ويُشير إلى جماعة قد انقسمت ولكن يمكن أن تتشكّل من جديد. ويحمل كل رمز نصيبًا من علامة منشطرة. وينكشف معناه في ما هو في الآن ذاته انشطار ووصل لطرفَيْه المنفصليْن.

ويشهد تاريخ الرمز بأنّ كلّ شيء يمكن أن يكتسب قيمة رمزيّة سواء كان طبيعيًا (أحجارًا أو معادن أو أشجارًا أو أزهارًا أو ثمارًا أو حيوانًا أو ينابيع أو أنهارًا أو محيطات أو جبالاً وأودية أو كواكب أو نارًا أو صاعقة، وغيرها...) أو مجرّدًا (شكلاً هندسيًا أو رقمًا أو إيقاعًا أو فكرة، وما سواها...). ويمكن أن نفهم هنا مع «**بيار إيمانيوال**» (Pierre Emmanuel) أنّ «الشيء» لا يقتصر على كائن أو شيء واقعيين فقط وإنّما يعني نزعة أو صورة وسواسيّة أو حُلمًا أو نظامًا من المسلّمات المتميّزة أو مفردات مألوفة وغيرها. وكلّ ما يثبّت الطاقة النفسيّة أو يحرّكها لفائدته يحدّثني عن الكائن بأصوات متعدّدة وبمستويات مختلفة وبصيغ شتى بواسطة الأشياء المتنوّعة التي سأتبيّنها، إن انتبهت، إلى أنّها تتالى في خاطري عن طريق التحوّل (ETUP 79). وهكذا يتأكّد الرمز بصفته طرفًا يمكن إدراكه ظاهريًا ويمثّل طرفه الآخر ما لا يمكن إدراكه.

فرويديًا يعبّر الرمز بطريقة غير مباشرة أو مجازيّة يصعب فكّ رموزها عن الرغبة أو النزاعات. فالرمز هو العلاقة التي تجمع بين المحتوى الظاهر والمعنى الخفيّ لسلوك أو لفكرة أو لقول. وبمجرّد أن نقرّ بوجود معنييْن على الأقلّ لسلوك ما يحلّ أحدهما محلّ الآخر بأن يحجُبَه أو يعبّر عنه في الآن نفسه يمكننا أن ننعت هذه العلاقة بالرمزيّة (LAPV 477). وتتميّز هذه العلاقة بشيء من التلازم بين العناصر الظاهرة والخفيّة للرمز. ويرى غير واحد من المحلّلين النفسانيّين أنّ المرموز إليه غالبًا ما يكون لاشعوريًا. وقد كتب "«**س. فرنكزي**» (S. Ferenczi) يقول: «ليست كل المقارنات رموزًا، لكن فقط تلك المقارنات التي يكون الطرف الأوّل فيها كامنًا في اللاوعي (نفسه). والحاصل أنّه لمّا كان الطفل أقلّ كبتًا لغرائزه من الراشد فإنّ حُلْمه يكون أقلّ رمزيّةً وأكثر وضوحًا. وقد لا يكون الحلم دائمًا وبشكل كامل رمزيًا. وتتنوّع طرائق تفسيره وفق الحالات بحيث تلجأُ أحيانًا إلى مجرّد الربط وأحيانًا أخرى إلى الرمز بالمعنى الدقيق للكلمة.

ويرى **يونغ** أنّه من المؤكّد أنّ الرمز ليس مجازًا ولا مجرّد علامة، إنّما هو على الأصحّ صورة خالصة تحدّد على أفضل وجه طبيعة الذهن التي يتلبّس علينا أمر تخمينها. ولْنُذَكِّر بأنّ الذهن في معجم المحلّل النفسي يشمل الوعي واللاوعي، ويكثّف إنتاجات الإنسان الدينيّة والأخلاقيّة والخلاّقة والجماليّة، ويلوّن كافّة أنشطة الكائن الفكريّة و**المُخَيِّلَة** والعاطفيّة، ويتعارض بصفته مبدأً مكوّنًا مع الطبيعة البيولوجيّة، ويُحافظ في حالة يقظة دائمة على توتّر الأضداد الذي هو أساس حياتنا النفسيّة (J.Jacobi). ويواصل **يونغ** مدقّقًا أنّ الرمز لا يتضمّن شيئًا ولا يفسّر إنّما يحيل على ما يتخطّاه باتّجاه معنى مازال في الماوراء، معنًى يتعذّر إدراكه ويصعب استشعاره إلى درجة أنّه لا يمكن لأيّ كلمة في اللسان الذي نستعمل أن تُعبّر عنه بشكل ضافٍ

(Junp92). ولكن خلافًا للمعلّم الفيانّويّ (**فرويد**) لا يعتبر **يونغ** الرموز أقنعة لأشياء أخرى إنّما هي نتاج الطبيعة. وبالتأكيد لا تخلو هذه التجلّيات من معنى، ولكنّ ما تُخفيه ليس بالضرورة موضوع رقابة قد يعاود الظهور في شكل مستعار لصورة رمزيّة. وقد لا تكون هذه الصورة سوى أمارة على وضعيّة خلافيّة عوض أن تعبّر عن نزعة النفس الطبيعيّة لتحقيق كلّ احتمالاتها. وتتأكّد قيمة الرمز في تجاوز المعلوم إلى المجهول والمعبّر عنه إلى ما لا يوصف. ويموت الرمز إذا عُرفَ فيه الحدّ الخفيّ يومًا ما. «ويُعدّ رمزيًا التصوّر الذي بتجاوزه كل تأويل مُتصوّر يعتبر الصليب تجسيدًا لحدث مازال مجهولاً وغير قابل للفهم، وروحانيّ أو متعالٍ، ومن ثمَّ هو حدث نفسي في المقام الأوّل حتّى إنّه يستحيل تمثّله بمنتهى الدقّة إلاّ بالصليب. وما دام رمز ما حيًّا فهوُ أفضل وسيلة ممكنة للتعبير عن حدث ما. وهو ليس حيًّا إلاّ بقدر ثراء دلالته. ولتظهر هذه الدلالة للعيان أو بعبارة أخرى حتّى نجد التعبير الأفضل لتأدية الشيء المنشود وغير المنتظر أو المتوقّع فإنّ الرمز يموت ولم تعد له إلا قيمة تاريخيّة (JUNT 492). ولكن حتى يظلّ الرمز حيًّا عليه ألاّ يتجاوز الإدراك الذهنيّ والفائدة الجماليّة فحسب، وإنّما عليه أن يُوجد نوعًا من الحياة. فالرمز الوحيد الحيّ هو الذي يعتبره المشاهد التعبير الأسمى لما يُستشعرُ لكن لم يُعترف به بعد. إنّه إذًا يحثّ اللاشعور على المشاركة. ذلك أنّه ينطوي على الحياة ويحفّز على تطوّرها. ولْنُذكّر بما قاله "**فاوست**» (Faust): «كم تؤثّر فيّ هذه العلامة بشكل آخر... إنّها تُحرّك في كلّ منّا الوَتَرَ المشترك». (JUNT 494).

وقد أجمل «**رُو دو بيكار**» (R. de Becker) مظاهر الرمز المختلفة. ذلك أنّه يمكن مقاربته ببلّور يعكس الضوء بطرائق مختلفة حسب الوجه الذي يتلقّاه. ويمكن أن نقول أيضًا إنّه كائن حيّ وجزء من وجودنا المتحرّك والمتغيّر، حتّى إنّنا عندما نتأمّله ونتناوله موضوع تفكّر نتدبّر أيضًا المسار الخاصّ الذي نتهيأ لاتّباعه ونمسك باتّجاه الحركة التي تعصف بالكائن (BECM 289).

إنّ إعادة الاعتبار لقيم الرمز لا تعني المناداة **بذاتانيّة** جماليّة أو عقديّة، ولا تعني البتّة أن نجرّد الأثر الفنيّ من عناصره الفكريّة ومن ميزاته في التعبير المباشر، ولا أن نجرّد العقائد والوحي من أسسها التاريخيّة. ويستمرّ الرمز في التاريخ. فهو لا يلغي الواقع ولا يستبعد العلامة، بل يضيف إليهما بُعدًا وبروزًا وعموديّةً. ويُقيِمُ انطلاقًا منها فعلاً وموضوعًا وعلامةً وعلاقات ما فوق عقليّة ومخيَّلَة بين مستويات الوجود وبين عوالم الكون الإنسانيّة والإلاهيّة. وعلى حدّ قول «**هيغوُ فون هُوفمنسْتال**» (Hugo Von Hofmannstal): «يُبْعِدُ الرمز القريبَ ويقرِّب البعيد بطريقة تجعل الإحساس يدرك هذا وذاك».

والرمز بصفته مقولة متعالية للعلوّ ولما فوق الأرضيّ وللامتناهي يتبدّى بكليّته للإنسان ولعقله كما لرُوحه. ويؤكّد **مرسيا إلياد** أنّ **النظريّة الرمزيّة** معطًى مباشر للوعي بتمامه، أي للإنسان الذي يكتشف نفسه إنسانًا، وللإنسان الذي يعي منزلته في الكون. وتتصل هذه المكتشفات الأساسيّة اتصالاً عضويًا متينًا

بمأساته حتّى إنّ النظريّة الرمزيّةُ نفسها تحدّد نشاطَ شعوره الباطن وأنبل تعابير حياته الروحيّة على حدّ سواء (ELIT 47).

ويستبعد **إدراك** الرمز إذاً دور المشاهد البسيط، ويتطلّب مشاركة الفاعل فيه. ولا يوجد الرمز إلا في مستوى الذات، ولكن على أساس الموضوع. وتستدعي المواقف والمدارك الحسّيّة تجربة ملموسة لا عمليّة **مَفْهَمَة**. وأهمّ مميّزات الرمز المحافظة الدائمة على الإيحاء. وكلّ يرى فيه ما تمكّنه قدراته البصريّة من إدراكه. فعلى قدر تعمّقنا في الشيء يكون إدراكنا له (WIRT 111).

ومثلما أنّ الرمز مقولة للعلوّ فهو أيضًا إحدى مقولات **اللامرئي**. ويقودنا حلّ الرموز إلى أعماق الروح الجوهريّة التي يتعذّر سبر أغوارها على حدّ قول «**كلي**» (Klee)، لأنّ الرمز يضيف إلى الصورة المرئيّة نصيب اللامرئيّ الذي يعسر إدراكه. وقد فصّل «**جان سرفياي**» (Jean Servier) القول في هذه الوجهة من النظر في كتابه **الإنسان واللامرئيّ** (SERH).

ولا يتعلّق فهم الرموز بالعلوم العقليّة بقدر تعلّقه بضرب من الإدراك الحسّيّ المباشر عن طريق الوعي. ومن المؤكّد أنّ بحوثًا تاريخيّة ومقارنات بين الثقافات ودراسة تأويلاتها المتأتّية من التقاليد الشفويّة والمكتوبة وكذلك من ضوابط التحليل النفسيّ قد أسهمت في جعل فهم الرموز أقلّ خضوعًا للصدفة. ولكنّها قد تنزع بلا موجب إلى تجميد دلالتها إذا لم نركّز على طابع المعرفة الرمزيّة الشامل والنسبيّ والمتحرّك و**المُفرَدِن**. إنّها تفيض دائمًا عن الرَسِيمات والآليّات والمفاهيم والتمثّلات التي تسندها. فهي ليست مكتسبة بصفة نهائيّة ولا متماثلة للجميع، ومع ذلك لا تلتبس البتّة بغير المحدّد المحض والبسيط. إنّها تعتمد على ضرب من الموضوعات ذات التغيّرات غير المحدودة. وليست بِنْيَتُها ثابتةً ولكنّها فعليّا موضوعاتيّة. ويمكن أن نقول في شأنها ما قاله «**جان لاكروا**» عن الوعي في معرض حديثه عن مفارقات الوعي وحدود اللاإراديّة «**لريمون روبار**» (Raymond Ruyèr). «إنّها تحوّل العلامات حسب الموضوعات المفصّلة بدل أن تجعلها في مجموعة مترابطة أشدّ الترابط. ويمكن أن نطلق عليها خاتمة تأليفيّة». ويضيف قائلاً:

«تكمن مفارقة قصديّة الوعي في كونها استباقًا رمزيًا للمستقبل». ويمكن أن نكمّل الصورة فنقول: «إنّ غائيّة الرمز هي في وعي الكائن في كل أبعاد الزمان والمكان وفي انعكاسها في الماوراء. والحياة أثقل معنى من مجموعة الفائسين» [الضبّاط الذين يتقدّمون القضاة الرومان قديمًا حاملين قضبانًا على رؤوسها فؤوس لفرض القانون].

و يتجاوز الرمز كذلك معايير العقل المحض دون أن يقع جرّاء ذلك في العبث. فهو لا يبدو ثمرة ناضجة لخلاصة منطقيّة بعد برهنة لا نقيصة فيها. ولا يقدر التحليل الذي يجزّئ ويُلغي تمامًا على إدراك ثراء الرمز.



ولا يتوصّل الحدس دائمًا إلى ذلك. ويجب أن يكون هذا الرمز تأليفيًا وعلى غاية من الكمال وجذّابًا، أي أن يتقاسم رؤية للعالم ويستشعرها. ذلك أنّ من مزاياه التركيز على حقيقة البداية قمرًا كانت أو ثورًا أو زنبقة ماء أو سهمًا، وكل القوى التي تستحضرها هذه الصورة وأمثالها في مستويات الكون كلّها وفي مستويات الإحساس جميعها. وكلّ رمز هو بمنزلة كون صغير بل عالم بأكمله. ولا يمكن إدراك معناه الإجماليّ بتراكم التفاصيل التي يوفّرها التحليل، فذلك يتطلّب نظرة شاملة. ومن أهمّ خاصيّات الرمز تزامن المعاني التي يبوح بها. ويصلح رمز قمريّ أو مائيّ لكل مستويات الواقع. ويتزامن الإيحاء بتعدّد هذا الصلاح.(Elit 378)

وفي خرافة «**بول**» (Peule) بكيدرا (kaydara) يقول العجوز المتسوّل (المسارّي) لحمّادي (الحاجّ الباحث عن الحقيقة): «تعلّم يا أخي أنّ لكلّ رمز معنى أو اثنيْن أو أكثر، وهذه المعاني منها النهاريّ ومنها الليليّ. أمّا النهاريّة فنافعة، وأمّا الليليّة فضارّة». (Hamk, 56)

وقد أوضح تزفيتان تودوروف (Tzvetan Todorov) بجلاء أنّه تحدث في الرمز ظاهرة كثافة، قائلاً: «إنّ دالاً واحدًا يُفضي بنا إلى معرفة أكثر من مدلول، أو ببساطة أكثر إنّ المدلول أَوْفَر من الدالّ». ويستشهد بقول «**كروزر**» (Creuzer) عالم الميثيولوجيا في الحقبة الرومنطيقيّة، والذي إليه يعود الفضل في إحياء الوعي بالرموز التي جمّدتها مطامح العقل إلى الهيمنة الفكريّة: «يكشف الرمز عن عدم تلاؤم الكائن مع الشكل وعن طغيان المحتوى على تعبيرته» (TODS 291).

ويحتوي الرمز من جملة خصائصه ومن جهة تعدّد أشكاله وتعبيراته على ثبات الإيحاء بوجود علاقة بين الرامز والمرموز إليه. فالكأس المقلوبة الرامزة إلى السماء لا تعبّر عن المماثلة الظاهريّة للصورة نفسها، ولكن عن كلّ ما توحي به السماء للاوعي في الآن ذاته من أمان وحماية، ومن منزل للكائنات العُلويّة ومن مصدر ازدهار وحكمة. وسواءً استعار هذا الثبات شكل قبّة في كنيسة أو في جامع، أو شكل خيمة عند الظاعنين الرُحّل، أو مخبإ بُنِيَ من الخرسان في الخطوط الدفاعيّة فإنّ العلاقة الرمزيّة تبقى مستقرّة بين الطرفين، القُبَّة والسماء، مهما كانت درجة الإدراك والمنافع المباشرة المستفادة منها.

وللرموز خاصيّة أخرى تتمثّل في تداخلها بحيث لا يُوجد بينها حاجز عازل. وثمّة على الدوام علاقة ممكنة بين هذا وذاك. ولا شيء أكثر غرابة على الفكر الرمزيّ من التشبّث بالمواقف الصارمة أو "بمبدإ الثالث المرفوع". وتمتلك المضامين الرمزيّة ما يُسمّيه **يونغ التجانس** الجوهريّ (JUNR 147). ونعتقد أنّ هذا التجانس يكمن في علاقة - من حيث الأشكال والأسس المتعدّدة - بالمتعالي، أي في حركيّة تصاعديّة ذات قصديّة. ويتأسّس رمز ما افتراضيًا بمجرّد ظهور صلة بين صورتيْن أو حقيقتيْن أو علاقة تراتبيّة ما مؤسّسة على تحليل عقليّ أو غير مؤسّسة.

وتكون الرموز دائمًا متعدّدة الأبعاد إذ تعبّر بالفعل عن علاقات من قبيل أرض-سماء، فضاء-زمان، محايث-متعال مثل الكأس الموجّهة نحو السماء أو الأرض. وهذه ثنائيّة قُطبيّة أولى. وثمّة أخرى تتمثّل في التأليف بين الأضداد، إذ أنّ للرمز وجهًا نهاريًا وآخر ليليًا. وعلاوة على ذلك فإنّ للعديد من هذه الأزواج أوجه تشابه تعبّر عن نفسها أيضًا بالرموز. وقد تكون من الدرجة الثانية مثل المشكاة أو القبّة المرتكزة على قاعدتها قياسًا إلى الكأس منفردة. وعوض أن ترتكز على مبدإ **الثالث المرفوع** على غرار المنطق التصوّري تفترض الرمزيّة خلافًا لذلك مبدأَ **الثالث المتضمّن**، أي وجود تكامل ممكن بين الكائنات وتضامن كونيّ يُدْرَكان في الواقع المحسوس للعلاقة بين كائنيْن أو مجموعتيْن من الكائنات أو أكثر. ويُفترض في الرمز المتعدّد الأبعاد قابليّته لعدد لا ينتهي منها. ومن يدرك علاقة رمزيّة يجد نفسه في مركز الكون. ولا يوجد الرمز إلا لفرد أو لمجموعة يتماثل أفرادها في وجه من الوجوه لتكوين مركز واحد. والكون كلّه يتمحور حول هذا المركز. ولهذا السبب لا تعدو الرموز الأكثر قداسةً عند مجموعة ما أن تكون أشياء مدنّسةً عند الآخرين. ويكشف هذا الأمر بوضوح عمق اختلاف مفاهيمهما. ويضعنا إدراك الرمز و**تجلّيه** بالفعل وسط عالم روحانيّ ما. وينبغي ألاّ نفصل البتّة بين الرموز وملازمتها الوجوديّة كما ينبغي ألاّ ننزع عنها الهالة المضيئة التي تكشّفت لنا هذه الرموز وسطها، ومثال ذلك سكون الليالي المقدّس في وجه قبّة السماء الشاسعة المهيبة والفتّانة (CHAS 49). ويرتبط الرمز بتجربة **مُكَلِينَة**. ولا يمكن أن ندرك قيمته ما لم نتنقّل بالفكر إلى المحيط العام الذي يعيش فيه حقيقة. وقد وضّح كل من «**جيرار دو شامبو**» (Gérard de Champeaux) و»**دوم ستارك**» (Dom Sterckx) هذه الطبيعة الخاصّة للرموز. «ذلك أنّها تكثّف في بؤرةِ صورةٍ واحدةٍ تجربةً روحانيّة بأكملها. وهي تتجاوز الأمكنة والأزمنة والوضعيّات الشخصيّة وكلّ الإمكانات المحتملة، وتوائم بين الحقائق الأكثر تنافرًا في الظاهر بإرجاعها جميعًا إلى حقيقة واحدة أكثر عمقًا تمثّل مبرّر وجودها الأخير» (نفسه 202). ألا تمثّل هذه الحقيقة العميقة المركز الروحيّ الذي يتماهى معه أو يشارك فيه كل من يدرك قيمة الرمز؟. ويكون للرمز وجود قياسًا إلى هذا المركز الذي لا وجود لمحيطه في أيّ مكان.

4. الحراك الرمزيّ ووظائفه

يؤدّي الرمز الحيّ الذي يصدر من لاوعي الإنسان الخلاّق ومحيطه وظيفة ملائمة كل الملاءمة للحياة الشخصيّة والاجتماعيّة. ومع أنّ هذه الوظيفة تمارس بصفة إجماليّة فسنسعى إلى تحليلها لنستجلي منها ثراء الحراك وتعدّد وجوهه. ولكن لا ننسى أن نجمع بعد ذلك في نظرة تأليفيّة مختلف هذه المظاهر حتى نُعيد إلى الرموز طابعها المميّز الذي يتعارض مع التجزئة المفهوميّة. وإذا كان علينا أن نتّبع نظامًا ما في هذا العرض النظريّ فإنّ هذا العرض لا يعني أيّ تراتبيّة حقيقيّة، بل إنّه سيزول في وحدة الواقع.



1.يمكن أن نقول إنّ **وظيفة** الرمز الأولى **استكشافيّة** مثلها كمثل رأس باحثة أُلْقِيَ بها في المجهول، فهي تجِدُّ في التعبير عن معنى المغامرة الروحيّة للناس المُلْقَى بهم عبر المكان والزمان. وفعلاً هو يمكّننا من الإدراك بطريقة ما لعلاقة لا يستطيع العقل تحديدها لأنّ أحد طرفيْها معلوم والآخر مجهول. ويُوسّعُ الرمز حقل الوعي إلى مجال يستحيل تحديد مقاساته بدقّة. ويمثّل ولوجه نوعًا من المغامرة والتحدّي. فما نُسمّيه رمزًا حسب «**يونغ**» هو كلمة أو اسم أو صورة، حتى إن كنّا متعوّدين عليها في الحياة اليوميّة، فإنّ لها مع ذلك معاني ضمنيّة تضاف إلى مدلولها الاصطلاحيّ والبديهيّ. وينطوي الرمز على شيء غامض أو مجهول أو خفيّ عنّا. وعندما يستكشف العقل رمزًا فإنّ ذلك يفضي به إلى أفكار تقع في مجال يتجاوز ما يدركه عقلنا: فيمكن لصورة العَجَلَة مثلا أن تُوحي إلينا بمفهوم الشمس الإلاهيّة، لكن عند هذا الحدّ يعلن تفكيرنا عن قصوره لأنّ الإنسان غير قادر على تعريف كائن إلاهيّ. ولأنّ العديد من الأشياء تقع خارج حدود الإدراك الإنسانيّ، نستعمل دائمًا مفردات رمزيّة للتعبير عن مفاهيم لا يُمكننا تحديدها ولا فهمها فهمًا جيّدًا. غير أنّ استعمالنا الواعي للرموز ليس سوى مظهر من مظاهر حقيقة نفسيّة على غاية من الأهميّة. ذلك أنّ الإنسان يبتكر أيضًا رموزًا بصفة غير واعية وعفويّة (JUNG 2021) محاولة منه التعبير عن الخفيّ والفائق الوصف. ومع ذلك، فإنّ اللفظ المجهول الذي يوجّه إليه الرمز التفكير لا يمكن أن يمثّل غرابة في **المخيّلة**. ولنَحْذَرْ من أن نصف بالغرابة كلّ ما يتجاوز ذهننا، بل الأجدر أن نبحث في العلاقات الغريبة عن نصيب الحقيقة التي يُمكن أن تعبّر عنها بكل جرأة. وإذ ما استثنيْنا **استشباحًا** محضًا، لكن لا يخلو من معنى في نظر المحلّل دون أن يكون رمزيًا بالضرورة، يمكننا أن نرى مع «**يونغ**» «أنّ رمزًا ما يفترض دائمًا أنّ التعبير المختار يصوغ بما يمكن من الإحكام عديد الأحداث المجهولة نسبيًا أو هو يشير إليها، لكنّ وجوده مُثْبَتٌ أو يبدو ضروريًا» (JUNT 491). ويمكّن الرمز حسب عبارة "**مرسيا إلياد**» «من حريّة الانتقال عبر كلّ مستويات الواقع». ولا شيء يتعذّر اختزاله في الفكر الرمزيّ. فهذا الفكر يبتكر دومًا علاقة، وهو بمعنى من المعاني في طليعة الذكاء، لكنّه قد يندثر إذا تشبّث بالصياغات النهائيّة. وتفرز المشاكل والألغاز ذاتها أجوبة لكن في شكل رموز. وتمثّل ألعاب الصور والعلاقات **المتخيّلة** هرمنيوطيقا تجريبيّة للمجهول. وإذا ما تحدّدت هويّة هذا المجهول من قِبَل المحلّل أو التفكير العلميّ، فإنّه بإمكان **الرسيمات المتخيّلة** أن تستمرّ لكن من أجل أن تدعو الإنسان إلى البحث عن المجهول في اتّجاه آخر وتقوده إلى اكتشافات جديدة.

2. هذه الوظيفة الأولى على صلة وثيقة بالثانية، وبالفعل ليس المجهول من الرمز هو الفراغ المتأتّي من الجهل، بل هو اللامحدّد من **الاستشعار**. وستغطّي صورة سهميّة أو **رسيمة محرّكة للصورة** هذا اللامحدّد بغشاء يكون في الآن نفسه إشارة أولى أو إيحاء. وهكذا يضطلع الرمز **بوظيفة البديل**. وهو في نظر المحلّل وعالم الاجتماع -وفي شكل تصويريّ - بمنزلة إجابة أو حلّ أو ارتياح يحلّ محلّ سؤال أو فراغ أو رغبة معلّقة في اللاوعي. ويتعلّق الأمر بتعبير استبداليّ يستهدف بطريقة مموّهة تمرير عدد من المضامين في الوعي لا يمكنها بسبب الرقابة أن تنفذ إليه (PORP 402). ويعبّر الرمز عن العالم المدرك والمعيش

كما يعانيه الشخص المعنيّ. ولا يكون ذلك حسب عقله النقديّ، وفي مستوى وعيه بل حسب حياته النفسيّة العاطفيّة والتصويريّة، وأساسًا في مستوى اللاوعي. فهو إذًا ليس مجرّد خدعة مثيرة أو ممتعة وإنّما هو حقيقة حيّة ذات سلطة واقعيّة بمقتضى قانون المشاركة (نفسه). إنّه يحلّ محلّ علاقة الأنا بمحيطه وبوضعه أو مع ذاته عندما لا تُتَحَمَّلُ هذه العلاقة بالدراية الكاملة. لكن ما ينزع إلى الإيحاء به لا يقتصر على موضوع الكبت حسب منظور المدرسة الفرويديّة، وإنّما هو يمثّل حسب "**يونغ**» اتّجاهًا في البحث وإجابة عن حدس خارج عن السيطرة. «إنّ وظيفة الرموز الأصليّة هي بالتحديد ذلك الكشف الوجوديّ للإنسان ذاته عبر تجربة كونيّة» (CHAS 239) يمكن أن نضمّنها كامل تجربته الشخصيّة والاجتماعيّة.

3. ينطوي الاستبدالُ على وظيفة ثالثة هي **وظيفة الوسيط**. ذلك أنّ الرمز يؤدّي فعليًا **وظيفة وسائطيّة**. فهو يقيم الجسور ويجمع العناصر المتنافرة ويصل السماء بالأرض والمادة بالروح والطبيعة بالثقافة والحقيقة بالحلم واللاوعي بالوعي. ويقابل الرمز قوّة نابذة لحياة نفسيّة غريزيّة نزّاعة إلى التوزّع بين تعدّد الحواس والانفعالات بقوّة جاذبة مندفعة نحو الوسط، ويقيم مركزًا للعلاقات يعود إليه المتعدّد وفيه يجد وحدَتَه؛ إنّه ينتج عن المواجهة بين نزعات متضادّة وقوى متناقضة يجمعها في علاقة ما. إنّه يعوّض هياكل تفكّك الليبيدو المضطرب ببنى تجميع الليبيدو الموجَّه. وفي هذا الصدد يعتبر الرمز عامل توازن. ويضمن نظامُ رموز حيٍّ في نفسيّة ما نشاطًا ذهنيًا كثيفًا وسليمًا ومحرِّرًا في الوقت ذاته. ويقدّم الرمز أهمّ مساعدة لتكوين الشخصيّة «فهو يحتوي فعلاً على تعبيريّة رائعة على هامش تعبيره الشكليّ حسب ملاحظة «**يونغ**»، أي إنّ له فاعليّة عمليّة في مستوى القيم والأحاسيس». وهو الذي يساعد على هذه الانتقالات التناوبيّة والعكسيّة بين مستويات الوعي من ناحية وبين المعلوم والمجهول والظاهر والخفيّ والأنا والأنا الأعلى من ناحية ثانية.

4. ينزع التوسّط في نهاية المطاف إلى التجميع. وهذا هو المظهر الآخر لدور الرموز الوظيفيّ. ذلك أنّ هذه الرموز **قوى مُوَحِّدةٌ** (ELIT 379). وتلخّص الرموز الأصليّة تجربة الإنسان الشاملة الدينيّة والكونيّة والاجتماعيّة والنفسيّة في المستويات الثلاثة (اللاوعي والوعي وما فوق الوعي). وتحقّق أيضًا خلاصة للعالم بإبراز الوحدة الأساسيّة لمستوياته الثلاثة (السفليّ والأرضيّ والسماويّ) ولمركز اتّجاهات الفضاء الستّة، وذلك بإبراز محاور التجميع الكبرى (قمر، ماء، نار، وحش ذو أجنحة...). وفي الأخير تصل الرموز الإنسان بالعالم. وتنخرط مسارات التكامل الذاتيّ للمستوى الأوّل في تطوّر شامل دون عزلة أو غموض. ولا يشعر الإنسان بالغربة في الكون، بفضل الرمز الذي يضعه وسط شبكة شاسعة من العلاقات. وتصبح الصورة رمزًا حين تتمطّط قيمتها حتى إنّه لَيَصل في الإنسان أعماقه الملازمة له بتعال لا حدّ له. ويكمن الفكر الرمزيّ في أحد أشكال ما يسمّيه «**بيار إيمانوال**» «التأثير المتبادل والمتواصل بين الداخل والخارج».

5. يؤدّي الرمز إذا بصفته موحّدًا **وظيفة بيداغوجيّة** وحتّى **علاجيّة**. وفعلاً هو يوفّر شعورًا إن لم يكن دائمًا بتحقيق الذات فلا أقلّ من أن يكون شعورًا بالمساهمة في قوّة تتجاوز الذات. وهو عندما يصل بين عناصر الكون المختلفة يجعل الطفل والرجل يشعران بأنّهما ليسا وحيديْن وضائعيْن في هذا الكلّ الشاسع الذي يحيط بهما. ولكن يجب ألاّ نخلط هنا بين الرمزيّ والوهميّ، وألا ندافع عن هذا الأخير بتقديس الخياليّ. ويعبّر الرمز بطريقة علميّة غير مدقّقة، بل ساذجة عن واقع يستجيب لعدّة احتياجات في المعرفة واللطف والأمان. ومع ذلك، فإنّ الواقع الذي يعبّر عنه ليس هو الواقع الذي تمثّله مياسم صورته الخارجيّة تيْسًا كان أو نجمًا أو حبّة قمح. إنّه شيء يتعذّر وصفه، ولكنّنا نشعر به بعمق مثل وجود طاقة ماديّة ونفسيّة تُخَصِّبُ وتُربّي وتُغذّي. ويشعر الفرد عن طريق حدسه فقط بانتمائه إلى مجموعة تُرعبه وتُطَمْئِنُهُ في الآن نفسه لكن تُعِدُّهُ للحياة. وأن نقاوم الرموز يعني أن نحرم أنفسنا من جزء من ذواتنا، وأن نُفَقِّرَ الطبيعة بأكملها، وأن نردّ بداعي الواقعيّة دعوة حقيقيّة إلى حياة شاملة. إنّ عالمًا بلا رموز عالم خانق يؤدّي بسرعة إلى موت الإنسان الروحيّ.

لكنّ الصورة لا ترتقي إلى مستوى الرمز إلا إذا قَبِلَ المشاهد بتحويل خياليّ بسيط في الواقع، لكنّه معقّد عند التحليل. وهو تحويل يضعه داخل الرمز ويضع الرمزَ داخل الإنسان. ويسهم كلّ منهما في طبيعة الآخر وفعاليته في ما يشبه التكافل. وتزيلُ هذه المماثلة أو هذه المشاركة الرمزيّة حدود المظاهر، وتقود نحو كينونة مشتركة، وتحقّق وحدة. وهذا ما عبّر عنه - دون شكّ - «راينرماريا رايلك» (Rainer Maria Rilke) في قصيدة يقول فيها:

«إذا أردت أن تفلح في إحياء شجرة

فانشر حولها هذا الفضاء الداخليّ الكامن فيك

ولن تصير حقيقة شجرة إلا متى تشكّلت من زهدك»

وندرك الدور العظيم لهذه الحياةِ المتخيّلة. ولكن ربّما يكون أهونَ علينا تضييعُ معنى الرمز ومعنى الوقائع في الآن نفسه من التنكّر للتمييزات الضروريّة بينهما. وينبغي ألاّ نكفّ عن التحذير بما يكفي من أخطار المماثلة وتجاوزاتها. وإذا كان في طريقها مزايا فسيكون من التهوّر التأخّر عنها دون التفكير في الابتعاد عنها في الوقت ذاته.

ويمكن لهذه المماثلة مثلاً أن تساعد الطفل خاصّة على اكتساب المواقف الإيجابيّة للبطل المختار. لكنّها تُوشك -إن طالت- أن تُحْدِثَ بعض التصرّفات الصبيانيّة وأن تؤخّر تكوين الشخصيّة المستقلّة. وكتب أحد رجال الدين البارزين يقول: «إنّ مماثلة الكائنات التوراتيّة هي أفضل السبل لاكتشاف تصرّف الإنسان في

حضرة الربّ». على أنّ تعاسته في التشبّه بقابيل. لكن بعد كلّ شيء، ومهما كان الأمر مثيرًا للشفقة فإنّه لا يعدو أن يكون خطأً شخصيًا فادحًا، والأفدح منه أن يكون الخطأ منهجيًا، أي أن نتّخذ دون أن ننتبه من مماثلة الآخر مبدأً بيداغوجيًا ونجعل من التركيبة المُغَايِرَة أساسَ تربية ما. ومن المؤكّد أنّ الرموز تسهم بفعاليّة في تكوين الطفل والراشد، لا بوصفها تعبيرًا تلقائيًا واتصالاً مناسبًا فحسب، وإنّما بوصفها وسيلةً لتنمية **الخيال الخلاّق** وإدراك اللامرئيّ. على أنّه يتعيّن أن تظلّ الرموز عامل إدماج ذاتيّ، وألاّ تتحوّل إلى خطر في ازدواج الشخصيّة.

6. وإذا كان ثمّة خطر في أن يضعف الرمز معنى الواقع بسبب من انقطاع في الوحدة فإنّ ذلك لا يحول بينه وبين كونه واحداً من أهمّ عوامل الاندماج في الواقع بفضل **وظيفته المُجَمْعِنَة**. إنّه يعمّق التواصل مع الوسط الاجتماعيّ. ولكلّ مجموعة رموزها، ولكلّ عصر رموزه. ويعني تأثّرنا بهذه الرموز إسهامنا في هذه المجموعة أو في هذا العصر. ذلك أنّ عصرًا بلا رموز عصر ميْتٌ، ومجتمعًا بلا رموز مجتمع مَيْتٌ. إنّ حضارة لم يعد لها رموز آيلة إلى الزوال، ولن يكون في القريب سوى تاريخ.

قيل إنّ الرمز لغة كونيّة. وهو أكثر وأقلّ من كونه كونيًا، إنّه فعلاً كونيّ لأنّه - افتراضيًا - في متناول كلّ كائن بشريّ دون الاعتماد على لغات متداولة أو مكتوبة، ولأنّه يصدر عن النفس الإنسانيّة. وإذا سلّمنا بوجود أصل مشترك للاّوعي الجمعيّ قادر على تقبّل الوسائل وبثّها، فيتعيّن علينا ألاّ ننسى أنّ هذا الأصل المشترك يغتني ويتنوّع من كلّ الإسهامات العرقيّة والشخصيّة. وسيصطبغ الرمز الظاهر نفسه إذن، أَيْلاً كان أو دُبًّا مثلاً، بصبغة مغايرة حسب الشعوب والأشخاص، وكذلك حسب العصور التاريخيّة ومزاج الحاضر. ومن المهمّ أن نكون مدركين لهذه الاختلافات الممكنة إذا أردنا تجنّب سوء الفهم، وأن ننخرط خاصة في فهم عميق للآخر. وهنا نرى كيف يُؤدّي بنا الرمز إلى ما هو أبعد من الكونيّ ومن المعرفة. ذلك أنّه ليس مجرّد إيصال معارف وإنّما هو نقطة التقاء الانفعالات: فعن طريق الرمز تدخل الغرائز الجنسيّة (اللّيبيدوات) بمفهومها الطاقيّ في تواصل. ولهذا يُعَدُّ الرمز أكثر الوسائل نجاعة في التفاهم بين الأشخاص وبين المجموعات وبين القوميّات حتى إنّه يقودها إلى أعلى درجات قوّتها وإلى أعمق أبعادها. ويُعدّ التوافق حول الرمز خطوة مهمّة في طريق **الجمعنة**. وبطابعه الكونيّ يمكنه الوصول إلى قلب الفرد والجماعة. ومن ينفذ إلى معنى رموز متعلّقة بشخص أو بشعب يعرف أغوار هذا الشخص وهذا الشعب.

7. يميّز علم الاجتماع والتحليل النفسي الرموز الحيّة من الرموز المَيْتَة. ولم يعد لهذه أيّ صدى في الوعي الفرديّ ولا في الوعي الجمعيّ، ولم تعد تنتمي إلا إلى التاريخ أو إلى الأدب أو الفلسفة. وتعتبر الصور نفسها ميْتَة أو حيّة وفق استعدادات المتقبّل المشاهد ووفق أغوار دخيلته وحسب التطوّر الاجتماعيّ. وتعدّ الصور حيّة إذا كان لها في كيانه كلّه صدى موقّع. وهي مَيْتَة إذا لم تكن غير مجرّد شيء خارجيّ يقتصر



على خواصّ دلالاته الموضوعيّة. فما تمثّله البقرة من اهتمام روحيّ لدى الهندوسيّ المتشبّع بمبادئ «الفيدا» مختلف عمّا تمثّله لدى المربّي النورمنديّ. وتتعلّق حيويّة الرمز بموقف الوعي وبمعطيات اللاوعي. وهي تفترض نوعًا من الإسهام في اللغز ونوعًا من الطبيعة المشتركة مع المخفيّ. إنّها تنشّطها وتقوّيها وتجعل المشاهد فاعلاً. وإن لم يَحصل ذلك فإنّ الرموز حسب تعبير «**أراغون**» (Aragon) تصبح «مجرّد كلمات أفرغت من خاصّيّاتها، واختفى مدلولها القديم مثلها كمثل كنيسة لم نعد نُصلّي فيها».

يفترض الرمز الحيّ إذا **وظيفة الترجيع**. وإذا تناولناها في المستوى النفسيّ فيمكن مقارنة هذه الظاهرة بما يسمّيه علم القوى الطبيعيّ ظاهرة ارتجاجيّة. فالجسم أو الجسر المعلّق مثلاً يهتزّ بمفعول تواتره الخاص الذي يتغيّر بفعل المؤثّرات التي يخضع لها كالريح مثلاً. وإذا تفاعل أحد هذه المؤثّرات بتواتره الخاص مع هذا الجسم، وإذا اتّحد تواترهما فسينجم عن ذلك تضخيم في الارتجاجات وتسارع في الاهتزازات يمكن أن يصل تدريجيّا إلى الاضطراب وإلى التصدُّع. وتكون وظيفة **ترجيع** الرمز أكثر فاعليّة بحيث تتلاءم أكثر مع المناخ الروحيّ لشخص أو لمجتمع أو لحقبة تاريخيّة أو لظرف. وهي وظيفة تفترض أنّ الرمز على صلة بنفسيّة جماعيّة، وأنّ وجوده لا يرتبط بنشاط شخصيّ صرف. وهذه الملاحظة تنطبق على المحتوى المخَيِّل قدر انطباقها على تفسير الرمز. فهو يسبح في وسط اجتماعيّ حتى إن انبثق من وعي فرديّ. وتتغيّر قوّته الإيحائيّة والتحريريّة بمفعول **الصدى** الناتج عن علاقة الاجتماعيّ بالفرديّ.

8. لا يمكن أن تكون هذه العلاقة متوازنة إلا في ظل تأليف ينسجم مع المتطلّبات المتباينة غالبًا للفرد والجماعة. وهذا أحد أدوار الرمز ممثّلاً في الوصل حتى بين الأضداد والتأليف بينها. ويطلق **كارل غوستاف يونغ** وظيفة التعالي (وظيفة الأدوار الأكثر تعقّدًا، وظيفة ليست أوليّة إطلاقًا، وإنّما متعالية بمعنى المرور من وضع إلى آخر بمفعول هذه الوظيفة) على خاصّيّة الرموز في ربط الصلة بين قوى متضادّة، ومن ثم تجاوز التعارضات وفتح الطريق أمام تقدّم في الوعي. وتصف صفحات تُعدّ من أدقّ آثاره كيف تتفكّك بواسطة هذه **الوظيفة المتعالية** للرموز وتنحلّ وتنتشر قوى حيويّة متضادة ولكن غير متنافرة إطلاقًا، وليس بإمكانها أن تتّحد إلا وفق سيرورة تطوّريّة مندمجة ومتزامنة (JUNT 496-498).

9. نلاحظ إذن انخراط الرمز ضمن حركة تطوّر الإنسان بأكملها. ولا يقتصر على إغناء معارفه وتحريك حسّه الجماليّ. إنّه يؤدّي في المنتهى **وظيفة المحوّل** للطاقة النفسيّة. فهو كمن يستقي من مولّد طاقة به بعض اضطراب وفوضى ليضبط تيّارًا كهربائيًا ويجعله صالحًا للاستعمال في سيرة الحياة الشخصيّة. وكتب **أدْلِر** (Adler) (ADLI 55) يقول: "تُحوَّل الطاقة اللاواعية غيرُ المستوعَبة في شكل أمارات عُصَابيّة إلى طاقة يمكن إدماجها في سلوك واع بفضل الرمز سواء كان هذا السلوك صادرًا من حلم أو من كل مظاهر اللاوعي الأخرى. ويتعيّن على الأنا استيعاب الطاقة اللاواعية التي يُطلقها حلْمٌ أو وهْمٌ". ولا يمكن لهذا الاستيعاب أن



يتمّ إلا إذا كان جاهزًا لهذا المسار من الإدماج. ولا يكتفي الرمز بالتعبير عن أعماق الأنا التي يمنحها شكلها وصورتها، وإنّما يحفّز بصوره المسارات النفسيّة بواسطة الشحنة العاطفيّة. إنّه يحوّل الطاقات شأن فُرن الكيمائيين يُمكِنُه تحويل الرصاص إلى ذهب، و[على وجه المجاز] الظلمات إلى نور.

5. من التصنيفات إلى التشظية

وقعت محاولات عديدة بهدف تصنيف نسقيّ للرموز. وقد جاءت إمّا تتويجًا طبيعيًا لدراسة علميّة أو فرضيّة عمل وقتيّة لإعداد دراسة علميّة. ويُحْسَبُ لها جميعًا أنّها رسمت الأطُر التي تُيسّر العرض. لكن لا واحدة منها كانت مرضيّة فعلاً. وهذه بإيجاز شديد بعض الأمثلة. يُميّز **أ. هـ. كراب** (A.H.Krappe) في كتابه «تكوّن الأساطير» بين الرموز السماويّة (السماء والشمس والقمر والكواكب) والرموز الأرضيّة (البراكين والمياه والكهوف). ولا يبتعد **مرسيا إلياد** كثيرًا عن هذا التقسيم في كتابه «بحث في تاريخ الأديان» عندما يحلّل الرموز الأورانوسيّة (كائنات سماويّة، آلهة العواصف، عبادة الشمس، التصوّف القمريّ و**التجلّيات** الإلاهيّة المائيّة...) والرموز الجهنّميّة (حجارة، أرض، امرأة، خصوبة). وتضاف إليها في حركة تضامن كونيّة كبرى رموز المكان والزمان مع حركيّة العود الأبديّ. ويوزّع **غاستون باشلار** الرموز على العناصر التقليديّة الأربعة: الماء والنار والتراب والهواء التي يعتبرها بمنزلة هرمونات **المخيّلة**. ويُتناول كل عنصر من هذه العناصر في كامل تعدّديّة معانيه الشعريّة.

ويَجمَعُ «**ج. ديمازيل**» (G.Dumézil) الرموز حول وظائف ثلاث أساسيّة استخلصها من بنية المجتمعات الهندو-أروبيّة، وظائف أنتجت ثلاثة أنظمة أو طبقات مغلقة من فئة الكهّان وفئة المحاربين وفئة المُنْتِجين. ويميّز «**بقانيول**» (Piganiol) بين الرعاة أو البدو والمزارعين أو المستقرّين، والذين لكلّ منهم منظومات خاصّة من الرموز. ويعتمد «**بريزولسكي**» (Pryzulski) في تصنيفه على نوع من التطوّر الصاعد للوعي. وتتمحور الرموز في البدء حول عبادة الإلهة الكبرى والخصوبة، ثمّ في مستوى الإنسان حول الأب والإله.

أمّا في التحليل النفسيّ الفرويديّ، فإنّ مبدأ اللذّة هو المحور الذي تتمفصل حوله الرموز. وهي تتركّز تباعًا في المستويات الفمويّة والشرجيّة والجنسيّة تحت تأثير هيمنة الليبيدو المراقب والمكبوت. أمّا «**أدلر**» (**Adler**) فيُحِلُّ محلّ هذا المبدإ مبدأ القوّة الذي يتولّد منه ازدهار الرموز عن طريق ظاهرة تعويض الشعور بالنقص. وقد نجد عند **يونغ** أكثر من مبدإ للتصنيف: فمثلاً يمكن للإواليّات أو مسارات الانبساط والانكفاء الذاتيّ أن توافق أصنافًا مختلفة من الرموز. ويمكن أن نضيف إليها الوظائف النفسيّة الأساسيّة في ظلّ أنظمة مختلفة من قبيل الانبساطيّ أو الانطوائيّ، أو كذلك في مسارات **التفريد** بواسطة رموز تميّز كل مرحلة



تطوّرية أو كلّ عارض أو حادث سير. وفي الحقيقة كثيرًا ما تُوحي الرموز نفسها - وإن كانت موسومة بعلامة أو غارقة في سياقات- بهذه المراحل أو المواقف المختلفة. وفي كلّ الأحوال لم يغامر المحلّل الزوريخيّ الكبير بتصنيف الرموز تصنيفًا منهجيًا. وقد تصطدم كلّ محاولة في هذا الاتجاه انطلاقًا من إنتاجه الأدبيّ الغزير بعقبة أساسيّة وحتّى بروح البحث اليونغي الذي يعارض بشدّة كل **نسقنة** ((Systématisation.

ويمكن أن نعيب مع **جيلبار ديران** (DURS 24-33) على غالبيّة محاولات التصنيف نزعتها الوضعانيّة والمُعَقلِنَة التي تتناول الرموز كأنّها علامات أو حبكات روائيّة ومقتطفات تفسير اجتماعيّ أو دينيّ وأشياء يتعيّن معرفتُها. وهي تتنكّر لتجذّرها الذاتيّ ولتعقّده المتغيّر، وتشكو من ضيق ميتافيزيقيّ غير معلن. علاوة على ذلك يُعابُ على تصنيفات التحليل النفسيّ التوسّعيّةُ المركزيّة والإفراطُ في تبسيط الدوافع. فالرموز تصنّف عند **فرويد** بسهولة وفق خطاطة الازدواجيّة الجنسيّة الإنسانيّة، وعند «**أدلر**» وفق الخطاطة العدوانيّة. وبعبارة أخرى، فإنّ **المخيّلة** - حسب المحلّلين النفسانيّين - ناتجة عن صراع بين النزعة الجنسيّة والكبت الاجتماعيّ (محاولة مخجلة لتجنّب الرقابة) في حين أنّها تظهر - خلافًا لذلك - في معظم الحالات في اندفاعها، كأنّها نتيجة اتفاق بين الرغبات ومواضيع البيئة الاجتماعيّة والطبيعيّة. و**المخيّلة** أبعد من أن تكون نتيجة كبت، وإنّما هي -خلافًا لذلك- مصدر تصريف الطاقة المكبوتة (DURS 30).

وقد استعار **جيلبار ديران** من الأنتروبولوجيا مبادئ تصنيفه الخاصّ للرموز. وصرّح بأنّه اعتمد «طريقة تقارب براغماتيّة ونسبويّة بالتمام تسعى إلى معاينة جمهرات واسعة من الصور، جمهرات مستقرّة تقريبًا، وتبدو كأنّها مهيكلة بنوع من تشاكل رموز استقطابيّة» (DURS 33). ويكتشف مثل هذه الحزمة من نقاط الالتقاء بين الارتكاسيّة (علم الارتكاسات: الحركات المهيمنة) والتكنولوجيا (علم الأدوات التي يتطلّبها المحيط امتدادًا للحركات المهيمنة) وعلم الاجتماع (علم الوظائف الاجتماعيّة). وهكذا تبدو الرموز **رَسِيماتٍ** محرّكة تهدف إلى دمج الغرائز الجنسيّة وردود أفعال شخص ما، والتوفيق بينها وبين متطلّبات المحيط ومحفّزاته. والحركات المهيمنة الثلاث (علم الارتكاس) هي الوضع والغذاء والجِماع. وتتطلّب الحركات المرافقة لردود الأفعال المهيمنة هذه دعائم ماديّة وأدوات مساندة (تكنولوجيا). وتأتي بعد ذلك الوظائف الاجتماعيّة للقسّ والمنتج والمحارب أو مباشرة السلط التشريعيّة والتنفيذيّة والقضائيّة. وهكذا يمكن أن نجمع الرموز الأكثر تنافرًا ظاهريًا في ثلاث مجموعات كبرى غير منعزل بعضها عن بعض. وتُميِّزُ التفسيرات البيوبسيكولوجيّة والتكنولوجيّة أو الاجتماعيّة التي تتفاوت درجات هيمنتها حسب الرموز والمستويات المعبّرة. غير أنّ **جيلبار ديران** -ولأسباب غير مقنعة البتّة تُبِينُ عن التأثيرات المستمرّة للانشطارات العلويّة والجهنّميّة التي يقول بها **مرسيا إلياد** أو المظلمة والمضيئة عند المحلّلين النفسانيين - لا يُطبّقُ هذه المبادئ تطبيقًا صارمًا. فهو يميّز بين نظاميْن في **النظريّة الرمزيّة**: نظام نهاريّ ويشمل الرموز التي تغلب عليها النزعة الوضعيّة المتّصلة بوضع الجسم وتكنولوجيا الأسلحة وعلم اجتماع المرزبان المجوسيّ والمحارب



وطقوس الارتقاء والتطهير، والنظام الليليّ الذي يشمل الخاصيّات الهضميّة الغالبة والموحّدة أو الدوريّة. وتتناول الأولى تقنيّات الحاوي والسكن والقيم الغذائيّة والهضميّة وعلم اجتماع الأمومة والحضانة. وتضمّ الثانية تقنيّات الدورة والروزنامة الفلاحيّة مثل تقويم صناعة النسيج ورموز العَوْد الطبيعيّة والمصطنعة والأساطير والمآسي الفلكيّة البيولوجيّة (DURS 50). ونعتقد أنّ لكل رمز مهما كانت خاصّيّته الغالبة مظهريْن اثنيْن نهاريًا وليليًا: فالوحش مثلاً رمز ليليّ بما أنّه يلتهم ويفترس. ويصبح نهاريًا إذا حوّل كائنًا جديدًا ولفظه. وبصفته حارس المعابد والحدائق المقدّسة هو في الآن نفسه عقبة وقيمة، ظلمات ونور ليليّ ونهاريّ. وقد أبرز **جيلبار ديران** ببراعة هذه الثنائيّة للرموز. وفضلاً عن ذلك نأسف لأنّ بحوثه العلميّة الجيّدة لم تفض به إلى تصنيف يتماشى ومعاييره الخاصّة. ولكن يمكن أن يكون هذا دليلاً على أنّ الرمز في غاية التعقيد، حتى إنّه يتجاوز كل نظام.

ويميّز مؤلّفون آخرون بين الرموز الكونيّة والرموز المجرّدة والأخلاقيّة والدينيّة والملحميّة والتكنولوجيّة والبسيكولوجيّة. وكلّ رمز من هذه الرموز يقابل أنموذجًا إنسانيًا بجانبيه الإيجابيّ والسلبيّ. لكنّ مختلف هذه المظاهر توجد مجتمعة في أغلب الرموز ذات الطبيعة المُوَرَّقَة وفق تعبير «**ليفي ستروس**»، إذ تتمثّل أهم وظائفها تحديدًا في ربط عديد المستويات. ولذا، لا يمكن اعتمادها مبدأ للتصنيف. إنّها تشير فقط إلى مستويات تفسير ممكنة.

ويرفض «**ليفي ستروس**» في بحوثه عن الأسطورة أن يجعل مشروعه رهينَ تصنيفٍ ما. ومهما كانت الطريقة التي نَتَناوله بها فإنّ مشروعه ينمو كركام مختلط دون أن يجمع بطريقة دائمة أو نسقيّة مجمل العناصر التي يستمدّ منها مادّته دون تبصّر وكلّه ثقة بأنّ الواقع سيكون دليلَه ويهديه إلى طريق أكثر أمانًا من تلك التي كان يمكنه اختراعها (LEVC 10). هذا التحفّظ المنهجيّ هو من ضمن التحفّظات التي أوحت بوضع هذا القاموس الذي يرفض كل تصنيف نسقيّ. وقد جمع "**جيرار دو شامبر**» و»**سيباستيان ستارك**» (Gérard de Champeaux et Sébastien Sterckx) في كتابهما «عالم الرموز» الذي تناول الرمزيّة الرومانيّة مجمل الرموز حول ما أَسْمَيَاهُ أشكالاً بسيطة أو رموزًا أساسيّة للنفس البشريّة. وهذه الأشكال هي المركز والدائرة والصليب والمربّع. ولا يتعلّق الأمر باستنتاج كلّ الرموز من هذه الأشكال ولا بردّها جميعها إليها. وقد تدلّ هذه المحاولة على بناء كامل للفكر الرمزيّ. وهكذا، فإنّ رمز المعبد – على الرغم من أنّ الصرح المقدّس هو في الغالب مربّع أو مستطيل- يرتبط برمزيّة المركز لأنّ المعبد يضطلع فعلاً بوظيفة مركز مقدّس. وكذلك تنتمي الشجرة إلى المجال الرمزيّ للصليب، مع أنّ بعض كثافة الأوراق توحي بصورة القبّة والدائرة. ويفترض هذا التصنيف - كما نلاحظ - تأويلاً قد يبعد كثيرًا عن الظواهر، ويكون موجّهًا إلى الحقائق البعيدة.

أمّا «**بول ديال**» (Paul Diel) - وقد درس **النظريّة الرمزيّة في الأساطير الإغريقيّة** - فقد وزّع الأساطير ومواضيعها وفق تمفصلات جدليّة مستوحاة من تصوّر للنظريّة بيو-إيتيقيّ نفسيّ فهو يعتبر أنّ الحياة بصفتها قوّة تطوّر تُوَجِّهُها النفسيّة الإنسانيّة. ويُوجَدُ التخيّل العاطفيّ صلب هذه النفسيّة. ويكمن قانونُ الحياة الأساسُ في تصرّفها السليم، أي في التحكّم في الذات والعالم. وتؤكّد الصراعات في الأساطير مغامرات كلّ كائن إنسانيّ بإمكاناته الدائمة وبمراحله المتعاقبة لاندفاعه الروحيّ وسقوطه في الانحراف. ويتجزّأ البطل الأسطوريّ مثل انعكاس رمزيّ جزئيّ أو كليّ لذواتنا مثلما نكونُ في مرحلة من وجودنا. لكنّ الحياة حسب «**بول ديل**» تتطوّر في اتّجاه **رَوْحَنة** بموجب تأثير بطيء، ولكنّه إجمالاً لا يُقاوَمُ. وتُؤدّي الروح وظيفة ما فوق الوعي مثل سائل عصبيّ مُوَجَّه. والعقل وظيفة واعية تهيّئ الإنسان طوال مساره التطوّريّ لمتطلّبات الحياة الملحّة وغاياتها. ويصطدم تجاوز الوعي في إدارة ما فوق الوعي بعراقيل كثيرة متأتّية أساسًا من **المخيّلة الجامحة**. وتؤدّي هذه دورًا زائدًا من شأنه أن يعرقل المجهود التطوّري أو يؤدّي إلى نكوص في اتّجاه ما قبل الوعي أو اللاوعي. ويغذّي هذا الخلل الوظيفي الحياة النفسيّة الممزّقة بين جاذبيّة «ما فوق الوعي» ووزن اللاوعي «ما تحت الوعي» عن طريق ما يصحبه من عادات غير معقولة ومن صور ملحّة وأوضاع متناقضة. وليس ما تكشفه الأسطورة عن طريق الصور والوضعيّات الرمزيّة كذلك هو مخلّفات ماض منمّق، وإنّما هو صورة لحاضر من النزاع يتعيّن تجاوزه ومشروع لمستقبل ينبغي تحقيقه. ووفق هذا المنظور تخصّ الرموز الأساسيّة الدرجات الثلاث التي تُضاف في النفسيّة الإنسانيّة إلى الغريزة الحيوانيّة من **المخيّلة المُجَمِّحَة** و**الكابِتة** (ما تحت الوعي)، ومن الفكر (الوعي)، ومن الروح (ما فوق الوعي) (DIES 36). وهكذا يصنّف المؤلّف الرموز أربعة أصناف هي: رموز الإثارة المُخَيِّلة (إيكار (Icare)، تانتال (Tantale)، إكسيون (Ixion)، بارساي (Persée) وغيرها...) ورموز الخلل الوظيفيّ (الفتن الأوّليّة، أنساب الآلهة، حرب العمالقة وما سواها...) ورموز التبسيط مخرجًا أوّل للاختلال: من ذلك التبسيط بأوجهه الثلاثة: الاصطلاحيّ (الميداس) (Midas)، الإيروس (Eros)، النفس (Psyché)) والشهوانيّ (أورفاي (Orphée) والجبّار (أوديب (Oedipe) ورموز تخطّي النزاع أو الصراع ضد التبسيط (تايزاي (Thésée)، هيركلاس (Héraclés)، بورمثيوس (Prométhée) وأضرابهم...). واعتمادًا على التأويل العام تجد رموز كل من الرجل والنسر والقميص (الجلباب) والسهم والنهر مكانةً مميّزةً في هذا التصنيف. وإليه يعود فضل الانسجام والعمق. غير أنّ هذا التصنيف يُسْتَلْهَمُ من نظام تحليل ذي قيمة مرموقة. لكنّه يرتكز حصريًّا تقريبًا على الإيتيقا. وهو لا يضع في صدارة اهتمامه بقيّة أبعاد الرموز مثل الأبعاد الكونيّة والدينيّة. ولا يمكن أن نؤاخذه على ذلك بما أنّه لا يسعى إلى أكثر من ترجمة الرمزيّة الأسطوريّة إلى لغة بسيكولوجيّة. ولنستنتج فقط أنّنا إن لم نجد بعدُ هنا الأسس لتصنيف عام، فيمكننا أن نكتشف طريقة تحليل في مستوى معيّن من التقصّي.

من عبقريّة «**أندري فيرال**» (André Virel) في كتابه «تاريخ صورتنا» اتّخاذه المراحل الثلاث التي تظهر في تطوّر مفهوميْ الزمان والمكان نظامًا مرجعيًا، وفي التطوّر البيولوجيّ، وفي التاريخ الإنسانيّ، وحتى في تاريخ الفرد. وتقدّم المرحلة الأولى التي يُسمّيها كونيّة المنشإ (Cosmogénique) خصائص يمكن تركيزها في مجموعة الاطّراد ممثّلة في الموجة والدورة والتناوب. إنّها المرحلة السماويّة ذات الفيض الحيويّ والفوضويّة الغامضة. أمّا في المرحلة الثانية **الفصاميّة التولّد** فيتخلّص فيها الفرديّ من الرواسب. ولا يتعلّق الأمر كذلك بالتفريق، بل بالثنائيّة وبالانفصال بوصفه تقابلاً مع المحيط. وتتميّز هذه المرحلة بالتقطّع ممثّلاً في ضبط الحدود والتثبيت والتراكم والتناظر والزمن الموقّع والتعديل إلى غير ذلك... إنّها مرحلة التوقّف الزُحَلِيّة للاستراحة والاستقرار. أمّا المرحلة الثالثة الواقعة تحت تأثير زويس Zeus)، (أو المشتري) فمرحلة إطلاق التوسّع، ولكن في تواصل منتظم. «وفي حين كان الكائن أوّل أمره غير مُتَمَيِّز في بيئته أضحى بعد ذلك متميّزًا فيه. ويتعارض دوام التميّز مع استمرار عدم التميّز في المرحلة الأصليّة. وفي غضون المرحلة الثالثة التي نسمّيها مرحلة التولّد الذاتي يتناسل الكائن ذاتيًا ويتواجد بذاته مثله مثل عالَم مستقلّ بذاته. وتَتْرُك ثنائيّة **التولّد الفصاميّ** مكانها للعلاقة الحيويّة بين الكائن والعالم».

وتجد الأساطير والرموز والبُنَى من قبيل أوزيريس (Osiris)، ساث (Seth)، إيزيس (Isis)، أورانوس (Uranus)، زحل (Saturne)، المشتري (Jupiter)، الشجرة، العقدة، الفأس، الكهف، الثعبان، السهم إلخ ... مكانها ومعناها في هذه النظريّة التطوّريّة للمجموعة. ويُفسّر علم الرمز النشوئيّ هذا عددًا من الأحداث اللامعقولة. ويقدّم طريقة جديدة في التحليل مخصّصة بإرساء نظام من بين العناصر المتنافرة والموروثة من عوالم قديمة غير متجانسة، وتفتح الطريق لتحاليل علاجيّة. ومع أنّه بإمكاننا أن نجمع عددًا معيّنًا من الرموز في هذه المراحل الثلاث، لا يمكن لهذه المراحل أن تكون أساسًا للتصنيف لأنّ كل رمز - عدا بعض الاستثناءات، وكما بيّنه بكلّ وضوح **أندراي ميرال** - يندرج في مجموعة تجتاز المراحل الثلاث: فالموجة مثلاً تقدّم على أنّها عاتية في المرحلة النشكونيّة ومحجوزة في المرحلة **الفصاميّة التولّد**، ومنتظمة في مرحلة **التولّد الذاتيّ**. ويتعيّن أن نفهم هذه الكلمات وفي مقدّمتها الموجة في معناها الرمزيّ. وهذا أيضًا مبدأ للتحليل وليس للتصنيف.

لقد استبان حتى اليوم أنّ كل تصنيف نسقيّ للرموز لا يكفي إلاّ لغايات عمليّة لعرض ما. ويجعل تعدّد معاني الرموز نفسه المهمّة عسيرة. ويبدو لنا في مستوى البحوث الحاليّة أنّ أنسب الأساليب لتذليل العقبات أو لتجاوزها هو أن نضبط قائمة للرموز ونماذج تحليلها تكون ممثّلة وسهلة المأخذ. وبإمكان هذا الإطار أن يقبل كل الإضافات والمقترحات الجديدة. وهذا مجرّد إطار وليس مدوّنة اصطلاحات كاملة. وثمّة الكثير ممّا يمكن إضافته. وقد تركنا نحن أنفسنا عديد الملاحظات جانبًا. ولم نحتفظ إلاّ بما كان أنموذجيًا بما يكفي، أي مأخوذًا من فضاءات ثقافيّة مختلفة ومن أنظمة تحليل متعدّدة.

6. منطق المتخيّل ومنطق العقل

ليس مجال المتخيّل مجال فوضى واختلال، حتى إن استعصى على كلّ مشروع يستهدف تصنيفه. ذلك أنّ عمليّات الخلق الأكثر عفويّة تخضع لنوع من القوانين الداخليّة. وحتى إن أدخلنا هذه القوانين إلى اللامعقول فمن الحكمة أن نحاول فهمها. فليس الرمز حجّة، لكنّه يندرج في منطق ما. وثمّة بالفعل حسب «**جان بياجي** Jean Piaget» تماسك وظيفيّ للفكر الرمزيّ. وقد كتب «**جيلبار ديران**» يقول: «إنّ التدفّق الغزير للصور حتى في أكثر الحالات غموضًا محكوم بمنطق الرموز حتّى إن كان هذا المنطق محدودًا». (DURS 21). وقد ألحّ "**مرسيا إلياد**» على أنّ منطق الرموز لا يتأكّد من خلال **النظريّة الرمزيّة** السحريّة الدينيّة فحسب، وإنّما من خلال **النظريّة الرمزيّة** التي يَجْلوُها نشاط الإنسان تحت الواعي والمتعالي (ELIT 337-378).

ويتأتّى هذا المنطق من خاصيّتيْن أساسيّتيْن للرموز تميّزانها من كلّ الأباطيل هما استقرارها ونسبيّتها. وقد سبقت الإشارة إلى أنّ الرموز تحافظ على نوع من الاستقرار في تاريخ الأديان والمجتمعات ونفسيّة الفرد. فهي على صلة بالوضعيّات والغرائز الجنسيّة ومجموعات مماثلة لها. وتتطوّر وفق المسارات ذاتها. ويبدو أنّ إبداعات الوعي واللاوعي وما فوق الوعي مستوحاة في تنوّعها الأيقونيّ أو الأدبيّ من النماذج نفسها، وتتطوّر وفق خطوط البنى نفسها. لكن لنَحْذَرْ من تجميدها في قوالب نهائيّة. ذلك أنّ تصلّبها موت محقّق وثباتها ثبات نسبيّ.

وكنّا قد لاحظنا أنّ الرمز علاقة أو مجموعة متحرّكة من العلاقات بين حدود عديدة. ويرتكز منطق الرموز مبدئيًّا على أساس هذه العلاقات بالذات. لكن يبرز هنا تعقّد المشكل وصعوباته لأنّه ينبغي البحث عن أساس هذه العلاقات في اتجاهات عديدة. وهو يتغيّر مع كلّ شخص ومع كلّ مجموعة وفي كثير من الحالات مع كلّ مرحلة من وجوده. وبإمكاننا أن نتبيّن بالفعل مع «**ج. دي لاروشتّري**» (J.de la Rocheterie) المادّة أو الصورة التي تصلح أن تكون رموزًا أو ما ترمز إليه، أي التركيز على المرموز إليه أكثر من الرامز: من ذلك أنّنا ننظر في رمز من رموز **العَموديّة** إلى القمّة تنزل إلى القاعدة أو إلى القاعدة تصعد إلى القمم العالية. ويمكن أن نتساءل كيف ينظر شخص مستيقظ إلى الرمز وكيف ينظر إليه الحالم النائم والمحلّل النفسانيّ، وبمَ يرتبط عمومًا، وبم شعرت الإنسانيّة أمام هذا الرمز (من خلال تضخيمه)، وفي أيّ مستوى يقع في الحال من المتقبّل المُدْرِك له، أفي المستوى الماديّ أم الروحيّ أم النفسيّ. ثمّ تساءل عن وظيفته في نفسيّته وفي وضعه الحالي وفي ماضيه ودوره شاهدًا وعامل تطوّر وغيره.. ومهما تعدّدت الأطراف المتدخّلة في العلاقة الرمزيّة فهي تُسْهِمُ كلّ بطريقته في إعطائها قيمتها وميزتها الخاصة. فهي - وإن تعذّر إدراكها- غالبا ما تمتلك بعض الحقيقة التي تحتلّ مكانة فاعلة في الحياة. وتستجيب هذه المكانة لنظام الأشياء



وتؤسّس لمنطق أصيل يتعذّر اختزاله في الجدليّة العقليّة. «إنّه العالم ينطق بالرّمز، حسب تعبير «**يونغ**». وكلّما تقادم الرمز وتعدّد أصبح جمعيًا وكونيًا. وكلّما كان مجرّدًا مميَّزًا ونوعيًا قَرُبَ على العكس من طبيعة خصوصّيات وأعمال فريدة ومحسوسة وتجرَّدَ من صفته الكونيّة رأسًا. ويوشك أن يصبح في تمام الوعي مجرّد مجاز لا يتجاوز حدود التصوّر الواعي. وهنا أيضًا يكون عرضة لمختلف التفسيرات العقلانويّة» (JUNA 67). ومن الأهميّة بمكان إدراك مميّزات هذا المنطق الخاص في مستوى «الرمزيّ» بالذات وليس في المستوى الأدنى «للمجازيّ الصوريّ». وفي هذا يقول **مرسيا إلياد**: «يجري استعمال الرموز وفق منطق رمزيّ» (ELIT 41).

لا يصدر الوصل بين الرموز عن منطق تصوّريّ: ذلك أنّه لا يدخل في مدلول المفهوم ولا في تضمّنه، ولا يظهر في منتهى استقراء أو استنتاج ولا في أي منحى حجاج عقليّ، بل يتأسّس منطق الرموز على إدراك علاقة بين طرفيْن أو مجموعتيْن. ولا يخضع هذا الوصل كما تقدّم القول لأيّ تصنيف علميّ. وإذا استعملنا عبارة «منطق الرموز» فلمجرد تأكيد وجود صلات أو ترابطات صُلب الرموز وفي ما بينها، ولتكوّن سلسلة رموز (النور، القمر، الليل، الخصب، القربان، الدم، البذر، الموت، البعث، الدورة، وغيرها...). والحال أنّ هذه المجموعات تتعلّق بروابط ليست فوضويّة ولا غير مبرّرة ولا غير طارئة البتّة. وتتواصل الرموز في ما بينها وفق قوانين وجدليّة مازالت لم تُعرف بعد بما يكفي. وسيبدو من اليقين القول: إنّ **النظريّة الرمزيّة** ليست منطقيّة. إنّها غريزة جنسيّة حيويّة واعتراف غريزيّ. وهي تجربة للذات الشاملة التي تولَدُ من مأساتها الذاتيّة عن طريق اللعبة العصيّة عن الإدراك للعلاقات العديدة التي تنسج في الوقت نفسه مستقبله ومستقبل الكون الذي ينتمي إليه والذي منه يستمدّ مادّة كلّ معارفه الجديدة. وفي نهاية المطاف يتعلّق الأمر دائما بـ «يولد مع» مع إبراز هذه الـ «مع». وهي كلمة صغيرة غامضة يكمن فيها سرّ الرمز كلّه (CHAS 25-26). لكنّ المنطق المستبعد هنا هو منطق تفكير تصوّري لا منطق نظام داخلي متجاوز للعقل يمكن إدراكه فقط ضمن تصوّر شامل. وهكذا أمكن للرومنسيّين الألمان الحديث عن منطق للرموز مظهرين في هذا الصدد أنّهم أقرب إلى سرياليّي المستقبل منهم إلى منطقيّي عصرهم.

وفعلاً، إنّ الإفراط في تحليل الرمز وجعله لصيقًا بسلسلة تضمّ (الصاعقة، السحب، المطر، الثور، الخصوبة..) واختصاره في وحدة منطقيّة قد يؤدّي به إلى الاندثار. ذلك أنّ من ألدّ أعدائه **عقلنته**. ولا يمكن أن نفهم بما فيه الكفاية أنّ منطقه لا يخضع لنظام عقلانيّ. وهذا لا يعني أنّ وجوده لا مبرّر له، أو أنّه لا يخضع لنظام ما يحاول العقل إدراكه. ولكنّ الرمز لا يتعلّق بالمعرفة فقط. يقول «**بيار إيمانيال**» (Pierre Emmanuel): «مثل من يحلّل الرمز فكريًا كمثل من يقشّر البصل ليعثر على البصل. ولن يضبط الرمز بإرجاعه تدريجيًا إلى ما ليس هو، بينما هو لا يوجد إلا بمقتضى ما لا يُدرَك الذي يؤسّسه. إنّ المعرفة الرمزيّة واحدة غير قابلة للتجزئة، ولا تكون إلاّ عن طريق حدس هذه العبارة الأخرى التي تُفيدها وتُخفيها

في الآن نفسه» (ETUP 79). وهذا ما يؤكّده «**هنري كوربان**» (CORI 13) الذي ذكرناه آنفًا. وتهدف هذه التحذيرات إلى تقديم طرافة الرموز غير القابلة للاختصار، أكثر منه إلى إنكار المنطق المحايث لها، والذي يبعث فيها الحياة. يقول **ليفي ستروس**: «لا مجال لأيّ فوضى أو نزوة في اختيار العقل البشريّ لصوره وطريقة جمعها أو تقابلها أو ترتيبها. حتّى هناك يبدو هذا العقل أكثر حريّة في الاستسلام لتلقائيّة الخلاّقة» (LEVC).

ويَنِمُّ التفكير الرمزيّ عن نزعة يشترك فيها مع التفكير العقلانيّ مع أنّ وسائل استجابته تختلف عنها. فهو يثبت - كما لاحظ ذلك **مرسيا إلياد** (ELIT 381) «الرغبة في توحيد الإبداع والقضاء على التعدّدية، رغبة هي كذلك وبطريقتها الخاصّة تقليد لنشاط العقل بما أنّ العقل ينزع كذلك إلى توحيد الواقع».

لكنْ أن نتخيّل ليس أن نبرهن. والجدليّات تنتمي إلى نظام مختلف. وستكون معايير **النظريّة الرمزيّة** هي الثبات في نسبيّة الإدراك حدسًا، وفي عقد الصلة مع اللانهاية. أمّا معايير **العقلانيّة** فهي المقاس والبداهة والتماسك العلميّ. والمساران متنافران داخل المبحث نفسه. ويسعى العقل إلى استبعاد الرمز من مجال رؤيته ليتّسع لاشتراك المقاسات والحدود والتعريفات. وتضع **الرمزيّة** العقلانيّ بين قوسين لتفسح المجال لمماثلة **المتخيّل** وغموضه. وإذا تعيّن على هذه المساعي المحافظة على سماتها الخاصّة فهي مع ذلك تستجيب جميعها كلّ في مجالها لضرورات. ويقتضي تقدّم العلوم نفسه وخاصّة علوم الإنسان وجودها معًا. وبإمكان الرمز أن يتصوّر مسبقًا ما سيكون عليه حدث علميّ في يوم ما، كما هو شأن الأرض باعتبارها كوكبًا من بين الكواكب، أو شأن التبرّع بالقلب. ويمكن لحدث علميّ أن يصبح يومًا ما رمزًا شأن تفجيرات هيروشيما التي ظهرت في شكل فُطر. وعندما يقرّر عالم أن يهب حياته للبحث فهو يخضع لقوى لاعقلانيّة ولنظرة إلى العالم يحتلّ فيها الرمز بشحنته العاطفيّة مكانة مميّزة. ولكي ينفتح الإنسان- على عكس ذلك- على عالم الرموز يجب عليه ألاّ يتخلّى مع ذلك عن متطلبّات عقله. ويدعو تعقّل الرموز وحدسها أحدهما الآخر حتى يتقدّما في طريقهما الخاص وقد تباعدا منهجيًا - لضمان بقائهما- ويحافظ أحدهما على الآخر ويغنيه بتجاوزاته وإغراءاته واستكشافاته.

لكن ألا يمكننا التساؤل عن موضوعيّة رمز ما إذا كان التفسير الذي يقدّمه المحلّل النفسيّ اليوم مثلاً يختلف ظاهريًا عمّا يقدّمه بدويّ شرقيّ عاش في عصر قبل عصرنا؟ ألا يمكن أن نعتبر هذا السؤال مسألة مغلوطة، أليست هذه المصطلحات ذاتها مصطلحات نظريّة تصوريّة للمعرفة؟. وليست الموضوعيّة في **الرمزيّة** تماهيًا في التصوّر ولا مطابقة معقّدة قليلاً أو كثيرًا بين العقل العارف وشيء معلوم وصيغة شفويّة، وإنّما هي تَشَابُهُ مواقف ومشاركةٌ **مخيَّلَةٌ** وشعوريّة للحركة ذاتها وللبنية ذاتها وللرسيمات ذاتها، قد تختلف تعابيرها وصورها اختلافًا كبيرًا حسب الأشخاص والمجموعات والأزمنة. فإذا نظرنا مثلاً إلى

التفسير الرمزيّ للأساطير اليونانيّة كما قدّمها «**بول ديل**» (Paul Diel)، فإنّه من السخافة أن نظنّ أن كلّ الإغريق من عامّة الشعب والفنّانين يتقاسمون صراحة وجهات نظر المفسّر المعاصر. إنّ التفكير الرمزيّ أثرى بكثير في نواح من التفكير التاريخيّ. ذلك أنّ التفكير التاريخيّ واع وعيًا تامًا ومرتكز على وثائق وقابل للتواصل بعلامات محدّدة، بينما التفكير الرمزيّ غارق في اللاّوعي، ويعلو إلى ما يتجاوز الوعي، ويستند إلى التجربة الخاصّة والتقليد. وهو لا ينتشر إلاّ بنسبة الانفتاح والقدرات الذاتيّة. والرمز ماثل هنا مثول الأسود المقابلة لأبواب «**ميسان**» (Mycènes) ومثول الأسد المنتصب الذي ذبحه أمير أو قسّ على أبواب **بارسايبوليس** (Persépolis) أو كقصيدة **المقبرة البحريّة لبول فاليري** (Paul Valéry) أو أيّ قصيدة أخرى وكسمفونيّة «**الإيخاء العالميّ**» مع كل مدلولاتها المُمكنة. وعلى مرّ العصور وبفضل تطوّر الثقافات والعقول، يعبّر الرمز في لغة جديدة، ويبعث أصداء غير متوقّعة، ويكشف عن معان خفيّة، لكنّه يحافظ على توجّهه الأوّليّ بوفائه للحدس الأصليّ وبالتماسك في تأويلاته المتتالية. وتنتظم **الرسيمات الناقلة** حول محور واحد. إنّ قراءة ميثيولوجيا تعود إلى آلاف السنين بعينيْ محلّل نفسيّ معاصر لا تعني خيانة الماضي ولا توجيه الاهتمام إليه أكثر ممّا عنده، بل يمكن أن يكون في ذلك تغاض عن حقيقة ما. لكنّ هذه القراءة الحيّة التي تذكيها شعلةُ الرمز تسهم بحياتها الخاصّة وتجعلها في الوقت ذاته أكثر قوّة وأكثر راهنيّة. وتبقى القصّة أو الصورة هي ذاتها لكنّها تتفاعل مع مستويات مختلفة من الوعي والإدراك في أوساط على قدر من القابليّة للتأثّر. وتتغيّر درجات الفوارق الرمزيّة مع حدود العلاقة التي تكوّنها. ومع ذلك تبقى هذه العلاقات متماثلة، وتظلّ قوى سهميّة في صلب البنية العميقة تحكم مختلف التأويلات التي تتطوّر على مرّ العصور حول المحور الرمزيّ نفسه.

لنضربْ صفحًا عن كلّ تفكير نسقيّ. فهذا القاموس لا يستهدف إلاّ تقديم مجموعة من الرموز الإيحائيّة والاستحضاريّة الهادفة إلى توسيع آفاق الذهن والإيحاء **للمخيّلة** وإثارة ردّة الفعل الشخصيّة لا إلى تحنيط المعطيات المكتسبة. ويكتسب القارئ بتصفّحه هذه الورقات دُربة على التفكير الرمزيّ، ويرتقي إلى حلّ الكثير من الألغاز بنفسه. وإذا رام التعمّق في موضوع ما فما عليه إلاّ الانكباب على المؤلّفات ذات الاختصاص. وقد استعنّا بالكثير منها، ويجدها القارئ مثبتة في الببليوغرافيا. وأخيرًا له منّا كلّ الامتنان إذا وجّه إلينا ملاحظاته النقديّة أو التكميليّة. وليكُن هذا الكتاب حسب رغبة **نيتشه** (Nietzsche)) خاصّة حوارًا وإثارةً ودعوةً وإيحاءً.

وفي الختام لننصف المؤسّسين من الشعراء شأن «**نوفاليس**» (Novalis) و«**جون بول هلدرلن**» (Jean-Paul Hölderlin) و«**أدغار بو**» (Edgar Poe) و«**بودلير**» (Baudelaire) و«**رمبو**» (Rimbaud) و«**نرفال**» (Nerval) و«**لوترايمون**» (Lautréamond) و«**مالارمي**» (Mallarmé) و«**جِرّي**» (Jarry) ومتصوّفي الشرق والغرب وماحيي طلاسم عصور العالم في إفريقيا وآسيا والأمريكتيْن.



فالرموز تجمعهم. ألم يوجّه **أندري بروتون** ((André Breton سهام نقده في قرن العلوم الصحيحة والطبيعيّة إلى هوسِ ردِّ المجهول إلى المعلوم وإلى القابل للتصنيف المحتضن للعقول؟ ولْنُذكِّرْ بإعلان مبادئ البيان: «إنّني أومن بحلّ مستقبليّ لهاتيْن السلطتيْن المتاضدّتيْن في الظاهر وهما الحلم والحقيقة في نوع من الحقيقة المطلقة والسرياليّة إذا صحّ التعبير».

والآن حتى نستعيد كلمات «**مارت أرنولد**» (Marthe Arnould) «لِنجُدَّ في البحث عن مفاتيح السبل القويمة ولْنَبْحثْ عن الحقيقة في ما وراء المظاهر وعن الفرح وعن المعنى الخفيّ والمقدّس لكلّ ما على البسيطة الساحرة والرهيبة. إنّه طريق المستقبل».

جان شوفالييه

مسرد المصطلحات

رتّبنا مصطلحات هذا المسرد حسب ورودها في نصّ الانطلاق وقابلناها بما في نصّ الوصول.

استلاب	Aliénation
مجاز صوري	Allégorie
مقايسة	Analogie
خرافة حكميّة	Apologie
نماذج أصليّة	Archétypes
صفة	Attribut
ذاتي التولّد	Autogénique
مفهمة	Conceptualisation
الحاوي	Contenant (Le)
نشكونيّة	Cosmogonie
كونيّ المنشإ	Cosmogénique

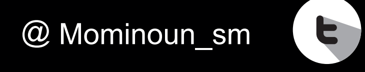
Dogmatique	عقديّة- دوغمائيّة
Emblème	شعار
Epiphanie symbolique	تجلّ رمزيّ
Exploratoire	استكشافي
Fantasmagorie	استشباح
Fantasmatique	استيهامي
Fantasme	استيهام
Hétérogénéisant	مُغايِر
Homogène	متجانس
Homogénéîsant	مُجَانِس
Homogénéîté	تجانس
Identification	مماثلة
Imaginaire	متخيَّل
Imaginatif	مُخيِّل
Imagination	خيال/مخيّلة
Imagination créatrice	خيال خلاّق
Imagination exaltée	مخيّلة جامحة
Imaginaion exaltive	مخيّلة مجمِّحَة
Individualisante (tendance)	نزعة مُفَرْدِنة
Individuation	تفريد
Initiateur	مسارّي(معمِّد)
Invisible(L')	اللامرئيّ
Médiateur	وسيط
Métaphore	استعارة

Objet	موضوع
Parabole	مَثَلٌ
Perception	إدراك
Positiviste (tendance)	نزعة وضعانويّة
Pressentiment	استشعار
Principe du Tiers exclu	مبدأ الثالث المرفوع
Principe du Tiers inclus	مبدأ الثالث المتضَمّن
Psyché (Le)	النفس
Rationalisation	عقلنة
Rationaliste	عقلانويّ
Rationnelle (opération)	عمليّة عقليّة
Retentissement	صَدَى
Résonnance	ترجيع
Schèmes	رسيمات
Schèmes eidolo-moteurs	رسيمات محرّكة للصور
Schémes conducteurs	رسيمات ناقلة
Schizogénique	فصاميّ التولّد
Schizomorphe	فصاميّ الشكل
Socialisante (fontion)	وظيفة جمعنة
Spiritualisation	رَوْحَنَة
Structuration	بَنيْنَة
Structuré	مُبَنْيَن
Subjectivisme	ذاتانيّة

Substitut	بديل
Sujet	ذات
Symbolique (adj)	رمزيّ
Symbolique (La)	الرمزيّة
Symbolisante (fonction)	وظيفة رامزة
Symbolisme (le)	النظريّة الرمزيّة
Symbologie (la)	علم الرمز
Symptome	أمارة
Synthème	مَنْسَق
Systématisation	نسقنة
Téléonomique	قصديّ
Totalisante (expérience)	تجربة مُكلَيِنَة
Universalisante (tendance)	نزعة مُكَوننة
Verticalité (La)	العموديّة

MominounWithoutBorders

Mominoun



مؤمنون بلا حدود

Mominoun Without Borders

www.mominoun.com للدراسات والأبحاث

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com